دراسة تاريخية تحليلية لموقف محمود محمد شاكر من الاستشراق

أ.د. جهاد محمد نصيرات* مهند صالح السالم**

تاريخ وصول البحث: 2025/7/3م تاريخ قبول البحث: 2025/10/20م

الملخص

يعدّ المؤرخون للظواهر التاريخية والعلمية الأستاذ محمود محمد شاكر في مقدمة نقّاد الاستشراق وإرثه الفكري وتداعياته الثقافية. وهذه الدراسة تحاول الإجابة عن سؤال محوري هو: ما المنهجية التي اتبعها الأستاذ شاكر في نقده لنتاج المستشرقين؟ وتهدف إلى توضيح أثر الدور التكويني للبيئة الثقافية والفكرية التي نشأ فيها الأستاذ شاكر، ومدى عمق إدراكه للسياق التاريخي، والأسس المعرفية، والأدوات المنهجية التي يقوم عليها الاستشراق، ومنهجه التحليلي في قراءة أعمال المستشرقين، والحلول المقترحة للتعامل معهم، كل هذا عن طريق استقراء لإنتاج شاكر، وقراءة تحليلية لخطابه في توصيف ظاهرة الاستشراق، لتتوصل الدراسة إلى أنّ بيئة شاكر لها أثر كبير في تشكيل وعيه النقدي تجاه الاستشراق، وأن معالجته لهذه الظاهرة تميزت بالصرامة العلمية والوضوح المنهجي، مما مكّنه من صياغة استراتيجيات فعّالة للتقليل من أثر الاستشراق في الهوية الفكرية والثقافية العربية.

- الكلمات المفتاحية: شاكر-الاستشراق-النقد المنهجي- المستشرقين

* أستاذ دكتور، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية.

** باحث.

A Historical and Analytical Study of Mahmoud Muhammad Shaker's Position on Orientalism

Abstract

Professor Mahmoud Mohammed Shakir is widely recognized by historians of intellectual and scientific movements as one of the most prominent and rigorous critics of Orientalism, its intellectual legacy, and its cultural ramifications. This study seeks to address a central research question: What methodology did Professor Shakir employ in his critique of the Orientalist corpus? The paper aims to elucidate the formative role of Shaker's cultural and intellectual environment, his depth of understanding regarding the historical context, epistemological foundations, and methodological tools of Orientalism, as well as his analytical approach to Orientalist writings and the constructive responses he proposed. Through a comprehensive examination of Shakir's works and an analytical reading of his discourse on Orientalism, the study concludes that Shakir's environment significantly contributed to his critical awareness towards Orientalism. His engagement was marked by scholarly rigor and methodological clarity, enabling him to formulate effective strategies to counter the influence of Orientalism on Arab intellectual and cultural identity.

Keywords: Shakir, Orientalism, Methodological Critique, Orientalists

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل الكتاب ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور، وأتمّ الصلاة وأزكى السلام على البشير النذير، وعلى آلة من كل مؤمن اقتفى خطاه إلى يوم يقوم الناس لربّ العالمين، وبعد: فإنّ من آثار رحمة الله بنا معشر البشر أن ينصب لنا مع الأيام منارات يهتدي بها المدلجون، ويسترشد في ظلام الفتن بها الشادون. وإنّ مما دهى الناس في دينهم وعلومهم فتنة الشبهات التي يسهر لها المفسدون، ويلبسون لها كل زيٍّ، يدعون الناس إلى أباطيل وأسمار لا يكشف فندها إلا من أقامه الله فأنار بصيرته، وأمدّه بعزم منه سبحانه؛ منهم الأستاذ محمود محمد شاكر الذي أدرك-مبكرا-ما في الاستشراق وآثاره من حق غالبَه الباطل، ومن عسل ولسع لم يصفُ لنا الأول، ولما ننفكَّ عن الأخير، فكان لقومه-بقلمه ولسانه وحاله-ناصحا أمينا، حتى لقي ربه. فاختلف الناس في تعاطيه-رحمه الله-للمدونة الاستشراقية، أكان محقا كل الحق، أم أمدّه عرق العروبة والإسلام فنزغه لما فعل. ولما كان الأمر كذلك تعيّن على بعض حملة هذه الأمانة بيان أبعاد وأُطر موقف الأستاذ شاكر من الاستشراق، بغية تجلية ما فيها من إحسان، فينتفع الباحثون به، وتثقيف ما داخلها من خطأ أو وهم، فيتجنبونه أو يقوّمونه.

مشكلة البحث:

يكشف تحليل تراث الأستاذ محمود محمد شاكر عن موقف نقدي متماسك تجاه الاستشراق، من حيث أبعاده المعرفية وآثاره الثقافية وأهدافه الأيديولوجية. وتتمثل المشكلة الرئيسة التي تسعى هذه الدراسة لمعالجتها في السؤال المحوري: ما المنهجية التي اعتمدها الأستاذ محمود محمد شاكر في نقده لظاهرة الاستشراق وإنتاج المستشرقين؟

وتتفرّع عن هذا السؤال المحوري عدة تساؤلات فرعية، من أبرزها:

1-ما طبيعة البيئة الثقافية والعلمية التي أسهمت في تشكيل فكر الأستاذ شاكر؟ وما أثرها في تكوينه؟

2-ما مدى تصوّر الأستاذ شاكر لمفهوم الاستشراق وحدوده ومقاصده؟

3-ما الإطار التاريخي الذي اعتمده في تتبّع نشأة الاستشراق ومساره؟

4-ما الأسس المنهجية التي انطلق منها في نقده لأعمال المستشرقين؟ وهل اعتبر تلك الأعمال علمية بالمعنى الدقيق؟

5-ما البدائل التي قدّمها شاكر للتعامل مع آثار الاستشراق في الثقافة العربية؟

أهمية البحث:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من كونها تسلط الضوء على مشروع نقدي منهجي قدّمه الأستاذ محمود محمد شاكر في تعامله مع الاستشراق، وتأتي أهميته من جوانب يمكن أن تسهم في تعزيز الوعي الأكاديمي والنقدي لدى الباحثين والمؤسسات العلمية، أبرزها:

1- كشف البُعد التحذيري في فكر شاكر تجاه تغلغل المفاهيم الاستشراقية في البيئة المعرفية العربية، مما يشكل نقطة انطلاق ضرورية لأي مشروع إصلاحي معرفي.

2- إبراز مسؤولية الوفاء العلمي عبر إعادة قراءة تراث شاكر، وتثمين جهوده في التصدي للمقولات الاستشراقية، بما يحقق الإنصاف، ويدفع الباحثين لاستلهام منهجيته في التعامل مع القضايا الفكرية الحساسة. كيف وقد أُهمل تراثه عمدا!(**1)**

3-الإسهام في ضبط المفاهيم الأساسية المتداولة في البحث الأكاديمي، وتصحيح مسارات تداولها المنهجي؛ كون كثير منها ما يستعمل دون تعريف منضبط أو إطار نظري واضح، مما أفرز تراثًا معرفيًا يتسم بالاضطراب والاختزال.

أهداف البحث:

1-بيان أثر البيئة في تنشئة الأستاذ شاكر.

2-توضيح مدى إحاطة وخُبْر الأستاذ شاكر لظاهرة الاستشراق.

3-التأريخ الدقيق لحركة الاستشراق.

4-تجلية المنهج التحليلي للأستاذ شاكر في قراءة أعمال المستشرقين، ووسائله في الحكم على أعمالهم.

5-جمع عدد من الحلول التي تعالج أو تخفف أو تحسن الاستفادة من ظاهرة الاستشراق.

الدراسات السابقة.

على الرغم من جَهدي في البحث عن دراسات أو أبحاث علمية محكّمة تتناول بشكل واضح وشامل الأُطر الخمسة، أو بعضها، التي تمثل محور هذه الدراسة، إلا أن المراجع المتوفرة لا تقدم معالجة منفردة أو شاملة لهذه الأُطر، بما يوضح بجلاء أبعاد رؤية الأستاذ شاكر تجاه الاستشراق وتأثيراته؛ إذ تقتصر المواد المتاحة على مقارنات جزئية تتناول مواقف الأستاذ شاكر بالمقارنة مع مفكرين آخرين مثل إدوارد سعيد ومالك بن نبي، سواء من حيث تعريف الاستشراق أو موقفهم من قبولا أو رفضا.

منهجية البحث:

استندت الدراسة إلى تطبيق ثلاثة مناهج بحثية متكاملة، هي: المنهج الاستقرائي، والمنهج التاريخي، والمنهج التحليلي. حيث استُخدم المنهج الاستقرائي في تتبع كلام الأستاذ شاكر من خلال مصادره المتعددة، بما في ذلك مؤلفاته، ومقابلاته، وتسجيلاته، بالإضافة إلى ما دوّنه تلامذته عنه. أما المنهج التاريخي فتم توظيفه لتسليط الضوء على العلاقات التاريخية والروابط الزمنية بين عناصر الظاهرة الاستشراقية ومخرجاتها المتنوعة في نظر الأستاذ شاكر. في حين اعتُمد المنهج التحليلي على ترتيب وتصنيف ما جاء في تراث الأستاذ شاكر ضمن الأُطر الخمسة للدراسة، مع

ضم المفاهيم المتقاربة، ومحاولة الربط بين الجزئيات المتفرقة من تراثه العلمي، بما يتيح رؤية شاملة ومتكاملة لأفكاره، رحمه الله تعالى.

خطة البحث:

عقدت الدراسة حول تعامل الأستاذ شاكر وتعامله مع الظاهرة الاستشراقية في مقدمة شملت مشكلة البحث وأهميته وأهدافه ومنهجيته والدراسات السابقة فيه، ثم خمسة مباحث، وخاتمة، والمباحث هي:

المبحث الأول. الإطار الفلسفي: البيئة والمدرسة الفكرية التي أنبتت الأستاذ محمود شاكر.

المبحث الثاني. الإطار المفاهيمي: الاستشراق في رؤية الأستاذ محمود شاكر.

المبحث الثالث. الإطار التاريخي من مبدأ الاستشراق إلى تحقيق أهدافه. في رؤية الأستاذ شاكر.

المبحث الرابع. الإطار النقدي: هل عمل المستشرق عمل علمي. (المنهج وما قبله).

المبحث الخامس. الإطار البدلي (الحلول المقترحة).

الخاتمة: فيها النتائج والتوصيات.

المبحث الأول. الإطار الفلسفي: البيئة والمدرسة الفكرية التي أنبتت الأستاذ محمود شاكر.

-الولادة والمنشأ: محمود محمد شاكر من المهد إلى المجد.[2]

ولد محمود محمد شاكر رحمة الله عليه سنة (1327 هـ/ 1909 م) في الإسكندرية، في بيت علم وعزة ودين، وعائلة لها أسباب من كريم النسب، وشرف المحتد وأصالة التدين:[3]

فأبوه الشيخ محمد شاكر وكيل الجامع الأزهر وشيخ علماء الإسكندرية وقاضي القضاة في السودان. وأمّه أسماء هارون عبد الرازق كذلك تسامي أسرتها في شرف التدين والعلم أسرة أبيه.[4]

وأخوه المحدِّث العلامة أبو الأشبال أحمد محمد شاكر، صاحب التحقيقات الحديثية واللغوية، وآخر أعيان المحدثين. ونسب الأسرة ينتهي إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما.[5]

كان محمود شاكر أحد سبعة إخوة في هذا البيت الشريف،[6] لكن لم يبزغ منهم سوى نجمه ونجم أخيه أبي الأشبال أحمد رحمهما الله تعالى. انتقل الوالد بالأسرة إلى القاهرة سنة ولادة محمود، ليدخل الولد بعدها المدرسة ويتلقى فيها التعليم-كأقرانه-على نظام (دنلوب) كما سماه شاكر،[7] ويُفتن باللغة الإنجليزية ثم يتقنها،[8] ويزهد بلغته الأم،[9]

لدرجة رسوبه فيها في الصف الرابع،[10] إلى أن أهداه أبو الفضل هارون-الأخ الأكبر لعبد السلام هارون-نسخة من ديوان المتنبي بشرح اليازجي ليطّلع عليه ويقدم اختبار الملحق فكأن الطفل وجد فيه شيئا كان يطلبه، فلزم الديوان حتى حفظه.[11]

أتمّ دراسته في التخصص العلمي مبتغيا دراسة الفَلك، ولما لم يجد في الجامعة فرع الفلك متاحا للتسجيل أغراه طه حسين-لمعرفته بذكائه وحبه للآداب جملة-بدراسة الأدب العربي، وتوسّط له ليُقبَل في الجامعة؛ فشهادته العلمية لا تخوّله دخول هذا الفرع كما قال رئيسها: أحمد لطفي السيّد.

دخل الجامعة سنةً فلم يجد فيها ما يروي ظمأه للعلم، ويُردف بنيانه بلبِنة جديدة،[12] بل ولا ما يقاربه،[13] فتركها وهام يبحث عن شيء فريد تميّز به العرب في علومهم ولغتهم، عن طريق

لاحب رفعهم عن خسيسة ما رُموا به، وباين الوحي المنزّل. فجاء مدينة جدّة سنتين، ثم عاد إلى مصر، وضرب على نفسه عزلة علمية يسرد فيها كل ما يقع تحت يده مما خطه بنان إنسان؛ -بحسب الطاقة والوقت- ليصل إلى الخيط الناظم لمعارف العرب والمسلمين، والذي سماه فيما بعد: (منهج التذوّق).[14]

وأما نشأة الأستاذ شاكر فارتقى فيها من العموم إلى الخصوص فأخص الخصوص:

1-النشأة العامة: أو طبيعة العصر الذي وجِد فيه الأستاذ شاكر، كان عصرا تصطرع فيه تيارات مختلفة من داخل العالم العربي ومن خارجه؛ بين غازٍ ومغزوٍّ ومناضل، بين خادع عميل، ومساكين مبهورين يرون كل بيضاء شحمة.[15]

أ-فالسياسة يحضّر أهلها للحرب العالمية الأولى، ثم يعيشون بين الحربين، وتشكيل الكتل والأحزاب والزعامات، ونشر المواثيق، والبيانات، ثم تدهمهم الحرب الثانية، ثم يدخل العالم-والعرب تبعا-دهليز الحرب الباردة.[16]

ب-والفكر والأدب واللغة تداهمهم أفكار ورؤى ونظريات تجعل الحليم حيرانا، وروّادها بين متجّذر في أرض أجداده مستمسك بعراهم لا يحيص قِيد كلمة، يرى في كل جديدٍ بدعة شنعاء، وبين مستلَبِ العقل والثقافة والهُويّة، منتفخ[17] الأوداج من لحم ودم ونظريات الغرب، يراهم مطلع الأنوار، ومنقذ الإنسان، لا يرفع بعلوم أمته وأسلافه قلما ولا رأسا.

2-النشأة الخاصة: وأعني بها بيئة البيت والمدرسة والأعلام الذين نشأ محمود شاكر بين أقوالهم وأفعالهم، ورسمت مواقفهم الخطوط العريضة في شخصيته. وحسبك أن تعرف منهم روّاد بيت أبيه، وجلساء أهله، ومديري الحوار في رواقه، فقد كانوا قامات العلم والزعامة والسياسة والفكر في مصر، من أمثال: أحمد تيمور باشا وأحمد حسن الزيات وأحمد شوقي بك وحافظ إبراهيم وطه حسين وابنُ خالة شاكر عبدُ السلام هارون ومحي الدين عبد الحميد ومحبّ الدين الخطيب ومحمد أمين الخانجي وغيرهم.[18]

3-نشأة شاكر في ذاته: سبق آنفا ذكر افتتان شاكر بالإنجليزية، وكرهه العربية،[19] ثم استظهاره لديوان المتنبي-ذي الطموح والهمة والعزة القعساء-بعد هذا كان أخوه أحمد شاكر يتعهده في العلم، واللغة خاصة،[20] وكان ملازما حِلق العلم، ودروس الأشياخ حتى أكرمه الله بملازمة شيخ الجيل، ومعلم الأدباء واللغويين؛ سيد علي المرصفي،[21] العالم النحرير،[22] فشامّه، وقرأ عليه (الكامل) للمبرّد، و(حماسة أبي تمام)، وشيئا من (الأمالي) للقاليّ، وبعض أشعار الهذليين، ولم ينفك عنه حتى اخترمت الشيخَ المنيّة عام (1349هـ/1931م).[23] ولك أن تصف ما تصف من أثر ملازمته الشيخ المرصفي، وكذلك مجالسته أعلام الفكر واللغة في زمانه[24] مما ترك في الناشئ-شاكر- حبا وتعلقا باللغة العربية، واستعظاما وتبجيلا لتراث الأمة وعلمها وجهود أعلامها، حمله بعد مواقف عدة-منها موقفه من طه حسين-أن يبحث عن منارة يهتدي بها جيلٌ أُريد له الحيرة، وسيق له الضلال سوقا.

مؤلفات وأعمال محمود شاكر:

لم يكن الأستاذ محمود شاكر مكثرا من التأليف لكنه كان مجوّدا فيه حدّ الغاية،[25]

فأغلب أعماله مقالات ناقدة جمعها فيما بعد، وأعمال شعرية أنقذ فيها بعض ما جادت به قريحته قبل أن تطالها يده بالمحو والنسخ والحذف.

وهنا جريدة بأعماله دون تفاصيل زمانية، أو مكانية، أو سببية، أو وصفية، فمن شاء مما طويتُ فدونها في المراجع في الحاشية:[26]

1-المتنبي.
2-رسالة في الطريق إلى ثقافتنا.
3-أباطيل وأسمار.
4-نمط صعب ونمط مخيف.
5-برنامج طبقات فحول الشعراء.
6-قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلّام.
7-القوس العذراء.
8-ديوان الحجازيات.
9-ديوان اعصفي يا رياح.
10-جمهرة المقالات.
11-عدد من التحقيقات المهمة.
12-بعض المقدمات والترجمات.

إضاءات لها أثرها ودلالاتها في تكوين شخصية الأستاذ شاكر.[27]

1-الصدق والأنفة والعزة: لعل هذه أبرز ما يراه الناظر-المنصف-في تاريخ الأستاذ شاكر، وفيما خطه عنه محبوه وتلامذته. الصدق بمفهومه العام؛ الذي يشمل الهمةَ والجدَّ والدأَبَ والصبرَ وحملَ الهمِّ، وأخْذَ الكتاب بقوة، وإتيان بيت العلم من بابه. والأنفة والعزة من كل ما من شأنه الحطّ

أو الغمز من قناة العرب وعلومهم وتراثهم.[28]

وقد تشرّب هذا وليدا في مواقف عاشها لأبيه،[29] ولأخيه أبي الأشبال، وللقادة الذين كانوا يعمرون مجلسيهما، لذا لم يصبر على ما ادّعاه أستاذه وشفيعه للجامعة طه حسين حول الشعر الجاهلي، حتى كان شفيعه إلى الجامعة مُقيله منها.[30] وإني ذاكر لكم من عزته موقفا واحدا يحمل أجلّ وأعمق الدلالة: لما عرض عليه أستاذه في الجامعة المستشرق الإيطالي (نيلّينو) زيارة إيطاليا وتولّي أستاذيّة كرسي اللغة العربية في إحدى جامعاتها، أجابه الأستاذ شاكر: "نحن لا ندخل بلادكم إلا فاتحين"![31]

لكن يخلط الأستاذ هذه العزة وذلك الكبرياء بمزاجٍ من تحبّب للطلبة، وتواضع للحق، ونزول عند الصواب، كل ذلك يبيّن لك جليّة الأمر أنّ غضبه أو كبرياءه إنما هو للحق وبالحق ومع الحق، لا لذاته أو عرضه أو عرَضٍ فاته إدراكه، والمواقف والكلمات الكثيرة من مجالسيه شهود عدل

على ذلك.[32]

2-موسوعيته ودقة تهدّيه لما يريده: تواترت أخبار ومواقف علمية تشهد للأستاذ بحجم إحاطته بالتراث العربي، وبعمق نفاذه في مكنوناته، وحسن تفهمه،[33] وسداد ظنونه حين لا يجد اليقين للدارسين سبيلا، وقبل ذكر شيء منها أنقل نصا من كلامه-وله غيره- في سعة ما طالعه ليصل إلى ما وصل إليه. يقول رحمه الله: "إنّ الإحساس القديم المبهم بفساد الحياة الأدبية قد أفضى بي إلى إعادة قراءة الشعر العربي كله أولاً، ثم قراءة ما يقع تحت يديّ من هذا الإرث العظيم الضخم المتنوع من تفسير وحديث وفقه، وأصول فقه وأصول دين (هو علم الكلام) وملل ونحل، إلى بحر زاخر من الأدب والنقد والبلاغة والنحو واللغة، حتى قرأت الفلسفة القديمة والحساب القديم والجغرافية القديمة، وكتبَ النجوم وصورَ الكواكب، والطبَ القديم ومفردات الأدوية، وحتى قرأت البيزرةَ والبيطرة والفراسة، بل كل ما استطعت أن أقف عليه بحمد الله سبحانه، قرأت ما تيسَّر لي منه، لا للتمكن من هذه العلوم المختلفة، بل لكي ألاحظ وأتبين وأزيح الثرى عن الخبيء والمدفون".[34] ومن الأمثلة على بسطة علمه:[35]

أ-قال الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة: "عرفْنا الأستاذ محمود على البعد إلى أن قاربت نهاية الدراسات العليا واجتمعنا في منزل شيخنا- محمد نور الحسن رحمه الله-لقراءة درس (التعيين) سنة (1949م) ومعنا آنذاك أربعة من كبار شيوخنا، وكان موضوع درس (التعيين) توابع المنادى، ثم فاجأنا الأستاذ محمود بزيارته، ونحن نقرأ: (يا زيد عائدَ الكلب)، فسألنا: أعائدُ الكلب بالدال أم أعائدُ الكلب بالذال؟ فقلنا: الذي في كتابنا عائدُ الكلب، بالدال. فأجاب على الفور: عائدُ الكلب جماعة، منهم فلان، وفلان... وسمي عائد الكلب لقوله:

ما لي مرضتُ فلم يَعُدْني عائدٌ منكم ويمرَض كلبكم فأعودُ[36]

وعائدُ الكلب، بالدال جماعة...ثم تركَنا واتّجه إلى مكتبة الشيخ نور. حيث علت وجوهَنا الدهشةُ، وتملَّكَنا البهر من روعة هذه المفاجأة، وملأ نفوسنا الإعجاب به، والإكبار له، ثم قطع بعض شيوخنا الصمت الذي لفّنا بقوله: خير الفقه ما حوضر به".[37]

ب-سرعة اهتدائه لنص من كتاب سيبويه أعيى الوقوفُ عليه تلميذَه المحنَّك محمود الطناحي.[38]

ج-"**اسأل شيخك محمود شاكر فإنه يحفظ الشعر الجاهلي**". قالها الأستاذ الدكتور حسين نصار. وموقف قريب منه، بل أعجب مع الدكتور عبد القدوس أبو صالح وأربعين بيتا من الشعر الجاهلي التوت مسالكها عليه. والداهية الدهياء بعدها بأسطر موقف عجيب يقول فيه الأستاذ شاكر عن نفسه: "**محمود شاكر قد خرّف**"![39]

د-قال الشيخ محمد ناصر العجمي: "ثم أفاض الشيخ شعيب في قوة علمية محمود شاكر ومما قال عنه: لما كنت أحقِق "المنازل والديار" لأسامة بن منقذ سنة (1384هـ)، ووقفت فيه على بعض الأبيات، فأردت أن أُخرّجها من كتابه الآخر "الآداب" الذي حققه الشيخ أحمد شاكر فوجدت هذه الأبيات فيه، ولكنها في صلب الكتاب محرَّفة، وقد سقط منها بعض الكلمات، وأشار الشيخ أحمد شاكر إلى أنه لم يجدها في موضع آخر، وأنه عرضها على أخيه محمود شاكر **فكتبها من استنباطه وحدسه، فكانت تماما** كما هي في "المنازل والديار"،[40] الذي لم يُطبع آنذاك،

ولم يقف عليه الشيخ محمود؛ إذ هو من مخطوطات الاتحاد السوفياتي".[41]

على أني بعد هذا التطواف الحثيث بين مواقفه العجيبة أنقل كلمة توضيحية لأحد تلامذة الأستاذ تصل ما قبلها بما بعدها، وتبيّن طرفا وسؤالا قد يستدعيه تفكير القارئ وهو: هل الذاكرة الحادّة والاطلاع الممتدّ هما اللذان سوّدا الأستاذَ بين أدباء ونقّاد زمانه؟ يجيبك الدكتور

عبد القدوس أبو صالح بقوله: "ولم تكن ذاكرة الشيخ الفريدة، ولا اطلاعه الواسع الشامل، هما اللذان أوصلا الشيخ محمود شاكر إلى أن يكون شيخ العربية دون منازع، وإن أعانا على بلوغه تلك المنزلة العالية، ولكن الذي بوأه مكانته طول معايشته للتراث، وطول تأمله فيه، حتى خالط لحمه ودمه، وحتى ألقى إليه مقاليده وأسراره، فكان كما شهدتُ وشهد الكثيرون أفرس الناس ببيت الشعر، وكان صاحب أسلوب كالبنيان المرصوص، وكان أن ندب نفسه ليكون سادنا للغة القرآن، وحاميا لتراث الأمة ونذيرا لها من هجمة التغريب الشرسة"، ثم ذكر طرفًا من فراسته بالشعر.[42]

أهم القضايا المحورية التي شغلت حياة الأستاذ محمود شاكر:

1-الاستشراق. الذي أدّى إلى:

2-التفريغ والاستلاب.[43] اللذَين أفرزا:

3-اختلاف الثقافة وفساد الحياة الأدبية.[44] اللذَين أفرخا:

4- غياب المنهج وحسن التذوّق. مما دفعه للبحث عنهما بغية:

5-الدفاع عن كيان الأمة ووجودها وعلومها.[45]

-المبحث الثاني. الإطار المفاهيمي: الاستشراق في رؤية الأستاذ محمود شاكر.

سيكون هذا المبحث دائرا في فلك تعاطي الأستاذ محمود شاكر مع ظاهرة الاستشراق، من حيث: تعريف المستشرقين، أوصافهم وشروطهم، دوافعهم، أساليبهم وأعمالهم، آثارهم. وفيه-مع المبحث التالي له-يظهر الجواب عن أسئلة هي من لوازم جمع المادة أهمها:

أ-هل كان الأستاذ شاكر متحاملا في الحكم على المستشرقين؟

ب-أكان حكمه عن سبر واختبار وتمحيص، أم هو محضٌ أملاه اختلاف الأديان؟

ج-أكان الأستاذ مضطردا في حكمه، أم متقلبا متأرجحا؟

د-أكان الأستاذ مبالغا في حكمه عليهم؟

لكن قبل هذا، وقبل أن أعرّف الاستشراق بإيجاز، أقول:[46]

أ-لئن كان العلماء يقرّون بصعوبة الوصول إلى التعاريف المنضبطة على رسم المناطقة، فهم أشد إقرارا بصعوبة التحويط الكامل بتعريف مقنع للأفكار العلمية المجردة؛ بسبب تطور ذات الفكرة من جهة، واتساعها وتشعبها وتداخلاتها من جهات أخرى، فالتعريف -تبعا للتطور أو للهدف منه، أو للحصيلة الثقافية للمعرِّف- يتسع أحيانا فيستوعب غيره مما ليس منه، ويضيق أحيانا عن

فلذات كبده،[47] كيف إذا صار لهذه الفكرة أو الظاهرة مناهج ومدارس وفلسفات وأغراض وأتباع، ومعاهد، وأبحاث، وتنظير! كما هو الحال مع ظاهرة ومفهوم (الاستشراق)![48]

ب- إنّ مصطلح (الاستشراق) فيه من الشمول والاتساع ما يجعله يدلّ على كل شيء، وبنفس الوقت لا يدل على شيء بعينه؛ وسبب ذلك أنه يجمع لِفاف علوم شتى من: الآثار والأدب والاجتماع واللغات والإسلاميات وغيرها لتصهر في أتون واحد، وتنضوي تحت مصطلح واحد.[49]

فلا غرو إذن إن اختلفت تعاريفه بحجم الاختلاف[50]في المقدمات والكنْه والمخرجات، ولعل من أقربها وأوضحها من جهة المفهوم الإجرائي[51] أنّه: **تصدي علماء غير مسلمين لدراسة علوم المسلمين وحضارتهم ومعتقداتهم وآدابهم، وتقاليد شعوبهم، وعاداتهم، و آثارهم.**[52]

وأما الاستشراق عند الأستاذ شاكر فالبحر يختلف، والميزان تشيل كفته، والفكر يمعن غوصا في أعماق أعماق التاريخ والجغرافيا والأديان والثقافات والمناهج و(البيليوغرافيا) ليصوغ لنا الأستاذ تصوّره عن الاستشراق الذي نوجزه في المفردات الآتية:

أولا: مفهوم الاستشراق ومقارباته في نظر الأستاذ شاكر رحمه الله.[53]

1-المستشرقون: أهم طبقة تمخّضت عنها النهضة الأوربية،[54] لتكون رائدة الملوك والرهبان في دراسة أحوال الشرق المسلم،[55] وهم جندُ المسيحية الشمالية[56] وحمَلَة همومها، الذين تشتعل قلوبهم باللهيب الممضّ-أكثر من الرهبان- على المسلمين بعد سقوط القسطنطينية.[57]

2- "الاستشراق هو عين الاستعمار التي بها يبصر ويحدّق، ويده التي بها يحسّ ويبطش، ورجله التي بها يمشي ويتوغل، وعقله الذي به يفكر ويستبين، ولولاه لظل في عميائه يتخبط"، فالاستشراق كامن في أحشاء الاستعمار.[58]

3-الاستشراق والاستعمار والتبشير أسماء متباينة لحقيقة واحدة.[59]

ثانيا: أوصاف المستشرقين وشروطهم في نظر الأستاذ شاكر رحمه الله.

لم تفارق الأستاذَ شاكراً الموضوعية في وصف المستشرقين،[60] بل امتثل أن يحكم عليهم بالعلم والعدل، وقارب-أو أصاب-التقوى، ولم يحمله بغضهم على أن يجور على أحدهم في وصف، أو يبخسه حظه من حسنة أُثرت عنه. وأنا ذاكر مجمل ما وصفهم رحمه الله به:

1-ما يمدحون له:[61]

أ-الصبر والجدّ والجلَد والجرأة والعزيمة وعدم التواني.

ب-الهدوء والتؤدة والتريّث وطول النفَس.

ج-الخبرة والتثبّت، والتبصّر بأحوال الناس، وجمع العلوم والتمهّر في الفنون.

د-الإخلاص لأهل ملّتهم، والتبتّل والانقطاع عن الدنيا نصرة لأمتهم.

2-ما يذمّون عليه:[62]

أ-الحقد الذي يجري منهم مجرى الدم، فيغذي القلب، ويذكي العقل.

ب-المكر والمخادعة والمصانعة والتلوّن، والتغوّل، والدسّ، والتزييف.

ج-المَلَق والدهان والنفاق.

د-الجهل بمزاج اللغة العربية، وأعراف ومعهود ذويها، وثقافة وحياة ودواخل نفوس أهلها.

هـ- التخبيب والإفساد والتحريش.

و-الغبن والسرقة لكنوز العلم.

ز-التشويه والمسخ والتقبيح لصورة الإسلام والقرآن والنبي ﷺ، وللثقافة الإسلامية.

ح- التعالم والكذب والانتفاخ تحت غطاء الموضوعية والتجرّد.

ثالثا: دوافع المستشرقين وأهدافهم في نظر الأستاذ شاكر رحمه الله.[63]

تختلط هنا الدوافع بالمحفزات والأهداف، فيعبّر الأستاذ غالبا عنها بالأهداف. ومن أوضحها وأهمها في عمل المستشرق:

أ-إمداد علماء ورهبان اليقظة الأوربية بكنوز العالم الإسلامي؛ من الكتب والخبرات.

ب-إمداد الرهبان والملوك بتصوّر متجدد عن حال ديار المسلمين وخيراتها.

ج-رسم صورة شوهاء وثنية مبتذَلة عن العالم الإسلامي، دِثارها: الصدق والإنصاف والموضوعية والجلَد والمنهجية والخبرة، وشعارها: الخديعة والمكر والكذب. هدف هذه الصورة الشوهاء:

-إقناع العقل الأوربي بصدق وخبرة وإنصاف وإحاطة وحذق المستشرق.

-إقناع العقل الأوربي بالتركيب الجيني الهمجي البدائي البربري الطفيلي للمسلمين.

-إدراج الإسلام ضمن مستنقع (العصور الوسطى) الذي ردمته للتوّ (النهضة الأوربية)؛ حماية للعقل الأوربي من الإعجاب بدين يرجع به إلى التخلّف والظلامية.

د-وأد اليقظة العربية المسلمة التي بدأت تنسج خيوطها على يد العلماء الخمسة وطلابهم.[64]

و-الحول بين الأمة المسلمة وبين يقظتها، وأن تسترجع ماضي عزتها.

رابعا: أساليب وأعمال المستشرقين لتحقيق أهدافهم.[65]

لم يألُ المستشرقون جهدا في الكيد والدسّ والتخطيط خدمة لأمتهم، فركبوا الصعب والذلول في سبيل ما نذروا أنفسهم له، فكانت من أعمالهم أنهم:

أ- ذرعوا البلاد طولا وعرضا يبحثون عن كل خفيّ أوجليّ يمكن أن يكون قشة تُذكي نار النهضة الأوربية، أو مسمارا في نعش هذه الأمة المسلمة.

ب- لبسوا لغاياتهم زيّ التاجر وزيّ الطالب وزيّ الباحث وزيّ السائح وزيّ العابد، وأزياء أُخر قد رقعوها مُسوحا يتوسلون بها إلى مرامي نفوسهم.

ج- لاقوا العلماء، وشافهوا الطلبة، ورقموا مع النسّاخ، وجالسوا أرباب الصناعات، ووقفوا مع الصانع في مصنعه، ومع الزارع في أرضه، ومع الشيخ في حلْقته، بل كما يقول الأستاذ شاكر: "حتى تدسّسوا إلى أخبار النساء في خدورهن، فلم يتركوا شيئا إلا خبروه وعجموه، وفتشوه وسبروه، وذاقوه واستنشفوه".[66]

د. في سبيل كنوز العلم ومخطوطاته شروا وسرقوا ونهبوا وساوموا وماكسوا كل من له بها صلة؛ من عالم أو جاهل، من ملك أو سوقة، من حليم أو سفيه، وبذلوا لذلك بذلا.[67]

هـ حرروا المقالات، وأنشأوا المجلات، وكتبوا التقارير، وطبعوا الكتب ليسهل على المحدَثين منهم الوصول لها، وليحجبونا بها عن تراثنا.

و- ناقشوا الأفكار، ودجّنوا المشايخ-كما يقول الأستاذ- وخوّنوا أو اغتالوا المصلحين،[68] واستأثروا بالنابهين ليكونوا بأفكارهم منادين، وسرقوا فلسفتنا وعلومنا وادّعوها لأنفسهم، كما قال الأستاذ.[69]

ز- اصطنعوا البِشر والطلاقة في الوجوه، وفي اللسان الحلاوة، والمذاقة، والخِلابة.

ط-جنّدوا الربيئة والعيون والمتخاذلين، واستمالوا السِفلة، وحرّشوا بين الطوائف، فاستنبطوا دفين أحقاد نسيَ الناس أسبابها.

ح- وضعوا يدهم على التعليم بكل مراحله؛ بين إفساد وتغيير ونسخ ومسخ، فأعدّوا جيلا يرى النور من الغرب تشرق شمسه، والتبعية المطلقة، والتسليم الكامل لهم هو السبيل الأوحد للرقي والفلاح.

خامسا: آثار المستشرقين في البلاد الإسلامية في نظر الأستاذ شاكر رحمه الله.

سيتمحّض الكلام هنا عن أثر المستشرقين وآثارهم في العالم الإسلامي العربي، والتي فطِن لها الأستاذ مبكرا، وكان لقومه النذير العريان، ومازال يتعهدهم بها مُنجدا ومُتهِما، يقول: خذوها ولو بقُرطَي مارية،[70] لكن لقد أسمعت لو ناديتَ حيا. وأكثر تمثيل الأستاذ وكلامه عن مصر التي

كانت[71]-وقتئذ-قلب العالم الإسلامي النابض، ومراح الحراك الثقافي والفكري فيه،[72] فمما كسبت أيديهم:

أ- إفساد الحياة الأدبية، والتفريغ الثقافي.[73] ومن أهم معالمه:

-تغييب علومنا، وتغييبنا عنها، وحجبنا عن قوانا الفاعلة من: الدين والتاريخ والآداب، فيراد منا أن نفكّر بعقل غيرنا؛ إذ إنّ تغييب علوم أمة هو تغييبُ وتدمير نفوس وذات الأمة.

-التدليس باستنساخ ما يمليه علينا الغازي، وتزيينه في قلوب الجيل أنّه من جهدنا ونتائج بحثنا.[74]

-التقليد والتبعية والذلة للثقافة المسيحية الغالبة، وهجر سبيل نهضتنا-الذي استعاده الأعلام الخمسة-والسير في سبيل المحتل، وراء ثقافة مسيحية تقتلع جذورنا قلعًا، وترغمنا على الرضوخ والذل لها، لكن بلسان التحضّر والتنوير، حتى يصير مسلَّما عندنا أنّ التدمير هو عين التنوير.[75] دون التفريق-أو معه-بين الاشتراك في العلوم البحتة، والاشتراك في الثقافات والعلوم الخاصة.[76]

وهذا يفضي بنا إلى جريمتين في سياق تاريخ الأمم وتحضرها:

الأولى: نقض عقائدنا؛ لأنّ آداب كل أمة وفنونها وثقافتها متدفق من عقائدها.

الثانية: فقدان الذات، والجهل المطبق بتاريخنا ورجاله وأعلامه، والتفريغ الثقافي، الذي يملأه غيرنا بفتاتٍ لا يسمن ولا يقي.

ب- تفريخ طبقة صبيان المستشرقين، الجهلة بتاريخ أمتهم وعلومها وآدابها، والمتسولين على بقايا موائد عدوّهم،[77] والنابتين في الدِمن، والمشتهرين بـ(الروّاد)،[78] الذين ولدتهم النهضة الخادعة، وقامت أعمالهم على ارتضاخ الثقافة الغربية، والذين لو قارنت عطاءهم جميعا بعطاء واحد من الأعلام الخمسة لوجدت اختلافا لا تصحّ معه المقارنة،[79] وما نجَم قرن الجمّاء إلا حين قُصّت قرون القرناء، والعرب تتمثل بـ:

لعمرُ	أبيكَ	ما	نُسب	المعلّى		إلى كرم	وفي الدنيا كريمُ
ولكنّ	البلاد	إذا	اقشعرّت			وصوّح نبتها	رُعي الهشيمُ[80]

ج-طبقة الساسة والمبشرين.[81]

المبحث الثالث: الإطار التاريخي من مبدأ الاستشراق إلى تحقيق أهدافه. في رؤية الأستاذ محمود شاكر رحمه الله.

فرّق الأستاذ رحمه الله كلامه عن الاستشراق في مؤلفاته بين كشف وتحذير وردود ومناقشة وغيرها، لكنه لم يتكلم عن تاريخ الاستشراق-بنظره-إلا في (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا)، وأنا أجمع وأصوغ منثور فِقراته -عن تاريخ الاستشراق حتى بلوغ السيل الزُّبى وفساد الحياة الأدبية- في الآتي:

ما دخل القرن السادس الميلادي إلا وقد استجمع دهاقنة المسيحية فيها نُذُرَ خرابها، وانحدروا بأوروبا إلى ظلام الجهل والظلم والتغوّل والاستبداد، فأرهقوا الناس عسْفا عشرة قرون حالكة، فوجئوا فيها ببزوغ الشمس من جهة المشرق؛ جهة الأندلس والمسلمين (الأتراك)، الشمسِ التي خافوا أن ترفع عمن تحتَ نِيرهم ظلامات الجهل والظلم والاسترقاق، فبدأ الاصطدام بين المسلمين في الجنوب والمسيحية المهزومة المفضوح جهلها في الشمال،[82] ولجأ الرهبان والملوك- تحويطا على ملكهم-بحشد سكان الشمال وتعبئتهم حقدا وطمعا مقتضاه صور شائهة عن العرب والمسلمين ونبيّهم صلى الله عليه وسلم وكتابهم، حتى أقنعوهم بسبع حملات صليبية مخفقة، عاد منها الجنديُّ الصليبيّ يحمل من الشرق المتاع والرياش، وتعتلج في رأسه الأفكار المتناقضة بين ما غذي به قبل خروجه وما عاينه وواقعه، فخشيَ سُوّاس الأمر من تفشّي الإسلام-لعدله وعلمه ورحمته- وانطواء العالم تحت جنبيه،[83] وأيقنوا تعثّر قوة السلاح، فارتأوا تأخيرها والبحث عن سلاح القوة، وهي قوة العلم.

فتحرك منهم الصادقون ونصفُ صدورهم همّ أمتهم واستعادة أمجادها، ونصفها الآخر الغيظ والحقد والحنق من هذا الدين الذي إن حاولوا حجبه بكذبهم وتزويرهم ليَعصبنّهم عَصْبَ السلَمة، وليولينّهم الناسُ كأمس الدابرِ. ومع من تحرّك من الرحالة والساسة والقادة جماعةٌ يطوفون الدنيا، يجمعون المخطوطات والكتب وكل أسباب العلم الذي يمدّ (العلماء والرهبان والملوك). وكان مما قابلوه في العالم العربي الإسلامي بذور (يقظة) علمية متينة شاملة حمل لواءها خمسة علماء لو تمّت لهم معاقد يقظتهم واستوت، سيعيدون للأمة المسلمة رفعتها بعد سُباتها، وستعود الحرب بين الثقافتين (الإسلامية والمسيحية) جذَعة فتية.[84] فحمل الصادقون-منهم- كلّ ما أمكنهم من ديار المسلمين، وشفعوه بملاحظاتهم، ووضعوه هنيئا مريئا بين يدي أربابهم ورهبانهم، مبصّرينهم خطر (اليقظة) إذا أينعت.

لم يكن أمام أوربا وعلمائها-والحالة كذلك-إلا طريق واحدة هي اهتبال هذه الغفلة المحيطة بهذه (اليقظة) الوليدة.[85] ففزع الاستشراق مع أساطيل الاستعمار، وبدأوا بالغنم القاصية (الهند)،[86] واستبَقت بريطانيا المحتلة أختَها فرنسا فأنشأت (شركة الهند الشرقية البريطانية) عام (1009م)، وتبعتها المسبوقة بـ(شركة الهند الشرقية الفرنسية) عام (1075م)، واستؤنف الصراع بين اللصين حتى طردت بريطانيا (فرنسا وإسبانيا) واستأثرت بالصيد الوفير. ودقّ لهم الاستشراق نواقيس التحذير من خطر (اليقظة)، وأسرع المستشرقون البريطانيون إلى السواحل العربية ليحكموا الطوق عليها، وبادرت فرنسا النصف الثاني من الشاة؛ فعينٌ لها على مصر والأخرى على الجزائر. وتحرك الجزار الحاقد (نابليون) إلى مصر، وقضى على (المماليك) أكبر قوة مسلمة بعد الأتراك،[87] وأنشأ في مصر دار ندوة قريش، أسماها (الديوان)،[88] يخادع فيها الناس، ويفتن بها المفتونين. أعمل (نابليون) في مصر القتل والسلب والدمار، وكان ساعِدُه وعينه ويده وعقله المستشرقين، وعلى رأسهم (فانتور) الذي نفق على أسوار عكا؛ فكان (نابليون) يقتل-بمشورتهم- عند شروق كل شمس خمسة أو ستة من المصريين، يقول الأستاذ شاكر: "ولا شك عندي أنّ هؤلاء الخمسة أو الستة من طلاب العلم في الأزهر، ومن المحرِّضين على مقاومة هذا الغازي المنتهك لحرمة ديار الإسلام، وأنّ الاستشراق هو الذي كان يقدمهم لهذا الجزار"،[89] ثم إنّ (نابليون) نشبت في وجهه ثورة الأهالي يقودهم طلبة العلم، ففرّ (الجزار) واتخذ الليل جملا، وعهد بالأمر بعده لـ(كليبر) الذي أخمد الثورة بالمدافع فأخمده طعنا البطل (سليمان الحلبي) فخرّ صريعا لليدين وللفمِ. وتولى بعده (مينو) الميكافيلي الشقي الكذاب المنافق الأرعن،[90] ثم تسحب فرنسا أذيال الخزي مخلفة وراءها كل ما يخلفه المتوحشون، وزيادة عليه أبقت عيونها من المستشرقين الذين مهّدوا لتولية (محمد علي شرشمة)،[91] الذي أقنعه (القناصل) بخطر الوهابية في الجزيرة العربية فسيّر لهم جيشيه وابنه إبراهيم الذي أهلك في قتاله آلاف المصريين، وارتكب الفظائع ما دونه بطش هولاكو وما ارتكبا.

وفي الداخل أوحى المستشرقون لمحمد علي أن أوْهِنِ الصلة بين المشايخ والناس، لتُحكم عليهم الخناق، وأوسِع العلاقة بالبعثات التنويرية للفطن المائق من الشباب إلى أوربا، ينتظرهم المستشرق الداهية (جومار) والبارون (سلفستر دي ساسي)، فكان طليعتهم مع رفاعة الطهطاوي ثم انحلّ الوكاء، وانساح الوباء، وانقسم التعليم في مصر-مركز العالم الإسلامي وقتئذ وقلبه-إلى التعليم القديم البالي في (الأزهر)، والتعليم المتحضِّر، المُمدِّ بالخبرة والمال والتأييد والتزويق؛ وهو التعليم الغربي الذي كانت أوله مدرسة (الألسن) وما ماثلها، والتي يحتقر خرّيجوها ثقافة وآداب

وعلوم أمتهم، و"يلتمسون المعابة لأسلافهم وآبائهم في خبر مطروح أو كلمة شاردة، أو ظاهرة محدودة، فيبنون عليها تعميمًا في الحكم، يتيح لأحدهم أن يسقي ما في نفسه من حب القدح والتردّي في طلب المذمة، أو أن يتقلد شعار التجديد، أو الإغراب طلبًا للذكر، وحبًّا للصيت"،[92]وهم مع ذلك يهتفون بحياة وبقاء ونصرة من تربّوا على أيديهم،

حالهم كما قال الشاعر:[93]

يُرَى	في	الليل	رُوميًّا		ويُصبح	يعبد	الفُرْسَ
صريخُ	الكفر	في	فمه		ويهمس	بالهدى	همسا
طويل	الباع		للأعداء		ويبخس	أهله	بخسا

ثم جاء الاحتلال البريطاني ودمّر المدارس الفرنسية بتعيين القسيس المبشِّر (دنلوب) سكرتيرا عاما لنظارة المعارف، واتُّبعت بعدها سياسة (التفريغ)،[94] الذي أدى إلى فساد الحياة الأدبية،[95] واللذان قادا الأستاذ شاكر للاعتزال في المكان القصيّ، وأخذ النفس بهمة حذّاء في البحث والتقصّي والتدقيق.

والقارئ هنا يخالف الأستاذَ شاكرا، أو يوافقه-كما أظن-يلحظ جليا أدوار-لا دور- المستشرقين في التاريخ المعتم الذي جرّه الاحتلال للعالم الإسلامي منذ بدايات التنبّه حين خالطوا الأندلسيين، إلى أن رضوا لنا بحضيض المعاناة في ردغة الخبال، وتركونا فيها نعالج قشع الغشاوة عن أعين ومناهج وأفكار أجيال تجزم-وهماً- أنّ مطلع الشمس من الغرب!

-المبحث الرابع. الإطار النقدي: هل عمل المستشرق عمل علمي. (المنهج وما قبله).

الاستشراق-كغيره من الظواهر الكبرى- لاستطالة تاريخه، وتتطور مراحله، وتبدل أهدافه، وتنوع وجوه وغايات حامليه=وقف الناس منه مواقف عدة، أوضحها موقف:

أ-الغيور العاطفي: الذي أزعجه العبث بالتراث العربي الإسلامي، والمقدّس منه؛ القرآن الكريم، وسُنَّة الرسول وسيرته ﷺ، وأغضبه جرأة أقوام خاضوا في مصادر الإسلام وفي مدونته وهم لا ينتمون إليه، ولا تُنظِّمهم به علاقة، فقرأوا مخرجات أجياله، ولاحظوا استنتاجات لا تحتملها هذه المصادر، إلا بتعمّل الحقد أو التخاطؤ. فكان الرد قوامه استدعاء كليات خطابية عمودها التلمّظ بكرامة وحفظ وقداسة هذا التراث، واستعانوا بعموميات، وأحكام مجتزأة، ومواقف

وكلمات لا تصوّر الظاهرة وروّادها. فأقنعوا بعض من يروقه هذا النغم،[96] بينما حال هذا اللون العاطفي دون اقتناع فئام همّهم النظرة العلمية المنهجية.

ب-العلمي البحت: الذي حاكم الظاهرة وأعمالها بمنطق النفعية الصرفة، وبمنظار المصلحة التي ارتآها هو، مع حسن نية حدته أن يقرأ تقارير ومنشورات الاستشراق بتجرّد أو تحييد كاد معهما يجفو عرقه العربي، وسنده الديني، وبطيّ وإقصاء لماضٍ مظلم غِربيب ساقته الحروب الصليبية بوازع وتزيين الاستشراق؛ عقلها المدبّر=فكان حكمه تابعا لتصوّره الذي منتهاه: أنّ الاستشراق يؤخذ منه وينكَر، وليس شرا كلّه، وحسبك-كما يقولون-ما أخرجوه لنا من كتب ومخطوطات وفهارس ومفاتيح لم نكن نحلم بها، تخدم تراثنا-زعموا- أيما خدمة.[97]

ج-العالم المسلم الخبير الغيور: الذي جمع بين حرارة دم عربي إسلامي يزيد وهجه ما تقع عينه عليه في كتب تاريخ القوم، وأياديهم السوداء، ومكرهم الليل والنهار، وبين سعة اطلاع، واستطالة نظر، وإحاطة يعزّ مثلها على أمثاله وأقرانه، وأردف هذين بعقل رجيح، ومنهج مضطرد يسبر به أغوار التاريخ والمسائل والقضايا، في تراثنا أو في غيره. أوصله هذا الجمع العزيز لحكم معتدل في الاستشراق، مبتناه على التدقيق والتحليل والموازنة والمفاتشة، لا الهوى والتعصّب، ولا التجرّد من الدين والنسب.

وحكم هذا الأخير رغم انتصابه على العدل والعلم والمنهج والدربة والتقصّي، ومع استعماله أدوات المنهج ووسائله=إلا أنه-ولا غرو-لن يستحسنه الأولان، وعليه سيكثران النقد والتحشية، مع إقرارهم للحاكم ذاك بالعلم، والعدل، والحكمة، والنصح.

من الصنف الثالث كان أستاذنا محمود محمد شاكر، الذي لم ينطلق من حكمه على عمل جُل المستشرقين من دافع البغض في الله تعالى، أو أصالة معاداتهم لحضارة المسلمين-وإن كان مستصحبا هذا-بل قسّم المستشرقين إلى طبقات، ولم يحكم على الكل حكما واحدا، وكان انطلاقه من منهجٍ علمي يوافقه عليه المخالف، ويحمده عليه الموافق، تلخيصُه في: أنّ العقلاء المنصفين يتفقون على انتهاج مسلّمات لها غاية التأثير في العمل والبحث والدراسة أهمُها: (اللغة والثقافة والأهواء)، والمستشرق لغته وثقافته وهواه مباينة كل المباينة لحال وسيماء العرب والمسلمين وعلومهم، وإن تعلّمَ منها شيئا فحسَواتِ عجِلٍ أقصى شأوه منها أن يكون شاديا في هذه العلوم، أما أن يكون باحثا أو ناقدا فيها فدون ذلك خرط القتاد، بلهَ أن يكون له في علوم العرب وثقافتهم تأملات وتثقيفات وتصحيح أو تخطئة.[98]

والأستاذ يقوّم عمل المستشرقين-وأتباعهم تبعا- ليجيب القارئ الكريم، وكل منصف شريفِ النفس عن سؤال منهجي يكثر ترداده في قاعات الدرس: هل يستحق عمل المستشرقين-عموما-أن يسمى عملا علميا، حتى من النِظرة العلمية البحتة؟

فيقسّم الأستاذُ عمل المستشرق إلى شطرين: ما قبل المنهج، والمنهج، ثم يدرس إمكانية توفّر أغلب المستشرقين على هذه المراحل وإن تعنّوا لها.[99]

ما قبل المنهج: وهو الأساس الذي لا يقوم المنهج إلا عليه. ويشمل مرحلتي: (الجمع، التطبيق).

1-الجمع. فيه خطوتان رئيستان:

أ-جمعُ المادة: ويتطلب قبل كل شيء، جمعها من مظانها على وجه الاستيعاب المتيسر، ثم تصنيف هذا

المجموع. وهذا ممكن للمستشرق مع بعض العوائق الجلية، وكثير من العوائق الخفية.

ب-التمحيصُ الفيصل للمادة المجموعة، والحِذق في تحليل أجزائها بدقة متناهية، حتى يتيسر على الدارس أن يرى ما هو زيف جليًا واضحًا، وما هو صحيح مستبينًا ظاهرًا دون هوى ولا سوء طوية.[100] وهذا ممكن لهم بعضُه، وبعضه تدخله آفات (اللغةِ، الثقافة، الأهواء).

2-التطبيق. ويشمل:

أ-حُسن الترتيب واكتشاف الصلات والروابط بين العلوم، وبين المسائل، بعد التمحيص ونفي الزيف، وهذا مرتَّب على القسم السابق.

ب-إنزال كل حقيقة منزلها من النُسق المعرفية، دون تشويه بعمد أو بخطأ؛ لأن أخفى إساءة في وضع إحدى الحقائق في غير موضعها، خليق أن يشوه عمود الصورة تشويهًا بالغ القبح والشناعة. وهذا عليهم ممتنع، بل مستحيل؛ إذ المستشرق عمله مبني على تصوّر مسبق يرسُمه ويتغيّاه لينسج خيوط صورة شوهاء عن المسلمين ونبيهم وكتابهم تحول بين عقل الأوروبي وبين افتتانه بهذا الدين وهذه الحضارة. وهذا التصور المسبق وحده كاف في إسقاط عمل المستشرق من وصفه بأنه عمل علمي.[101]

المنهج:

ويشمل ثلاث أوابد عليها مدار حركة التاريخ البشري، بعلومه، وفنونه هي: اللغة، والثقافة، والأهواء.

1-اللغة. معرفة أصول علومها، وفروعها، ومجاري ألسنة أهلها، "والإحاطة بأسرار "اللغة" وأساليبها الظاهرة والباطنة، وعجائب تصاريفها التي تجمعت وتشابكت على مر القرون البعيدة، فصارت ألفاظها وتراكيبها الموروثة والمستحدثة تحمل من كل زمان مضى وكل جيل سبق، نفحة من نفحات البيان الإنساني بخصائصه المعقدة والمكتمة، أو خصائصه السمحة والمستعلنة. وبين تمام الإحاطة باللغة وقصور الإحاطة بها، مزالق تزلّ عليها الأقدام، ومخاطر يخشى معها أن تنقلب وجوه المعاني مشوهةً الخلقة مستنكَرةَ المرآة، بقدر بعدها عن الأسرار الخفية المستكنّة في هذه الألفاظ والتراكيب ".[102]

وهذا أول عتباته مثاقفة أهلها، ومثافنة شيوخها؛ فاللغة شديدة التداخل والتمازج والترافد والتأثر بالثقافة منذ ساعات الولادة.

وهذا الشرط عسير على أبناء اللغة أنفسِهم، فكيف بالأدعياء! الذين لا يفرق أحدهم بين السُها والفرقدِ!

2-الثقافة.[103] وهي طوران متكاملان:

أ-إسار التسخير: الأصول اللغوية والمعرفية والدينية والخُلقية التي تُغرس في الوليد من أبويه وأهله وبيئته. فـ"هي في أصلها الراسخ البعيد الغور، معارف كثيرة لا تحصى، متنوعة أبلغ التنوع لا يكاد يحاط بها، مطوية في كل مجتمع إنساني للإيمان بها أولا عن طريق العقل والقلب = ثم للعمل بها حتى تذوب في بنيان الإنسان وتجرى منه مجرى الدم لا يكاد يحسّ به = ثم للانتماء إليها بعقله وقلبه وخياله انتماء يحفظه ويحفظها من التفكك والانهيار، وتحوطه ويحوطها حتى لا يفضي إلى مفاوز الضياع والهلاك".[104]

ب-طلاقة التفكير: استقلال اليافع بالتفكير بعد أن يشِبَّ عن الطوق، لكنْ لا مناص من اصطباغ أفكاره بأصوله الأولى التي رُكزت فيه، وإن ادَّعى مجانفتها.[105]

3-الأهواء. رغم شناعتها في كل عمل علمي شريف=إلا أنها مقبولة في الثقافة الأوربية، تحت تسويغ السلب والاستيلاء؛ بغية رفد هذه الحضارة بما يضمن تقدمّها، ويُحكم سيطرتها على غيرها.

وهذه الأهواء لا تكون أبدا سافرا[106]عن قناعها، بل تساق إليك "متبرجة في تمام زينتها من (اللغة) ومن (الثقافة)، مترديةً برداء براءة القصد وخلوص النية، متحلية بجواهر الدقة والاستيعاب والتمحيص والمهارة والحِذق، حتى يتاح لصاحبها أن يقتنص غفلتك، ويتلعَّبَ عندئذ بك وبعقلك ما شاء له التلعُّب، من حيث يوهمك أنه قد استوعب لك جمع (المادة)، ويهوّل عليك تهويل السحرة بما يحشد تحت عينيك ويستكثر، مخفيا عنك بتمويهه من (المادة) ما قد يبطل ما

أراد له سحر عينيك واهتبال غفلتك، ثم استلحاق عقلك بعقله، إذ أنت عندئذ مفتون بالزينة المتبرجة، وبتحاسين رداء البراءة وخلوص النية، وبالحلى النفيسة المتلألئة التي يتطلبها "ما قبل المنهج" بشطريه: "المادة" و "التطبيق"؛ إذ أنت هائم معه، مريدا أو غير مريد، في إثر كل قبيح وجهه حسن".[107]

وما قبل المنهج (الجمع والتطبيق) قد برع فيهما علماء العرب والمسلمين، حتى صار لهم طرق مسلوك، و "سُنةً متبعة، ودربا مطروقا في ثقافة متكاملة متماسكة راسخة الجذور، ظلت تنمو وتتسع وتستولي على كل معرفة متاحة أو مستخرجة بسلطان لسانها العربي، لم تفقد قط سيطرتها على المنهج المستبين، مع اختلاف العقول والأفكار والمناهج والمذاهب، حتى اكتملت اكتمالا مذهلا في كل علم وفن"=بما لم يتهيأ مثله لأمة من الأمم ولا خلا اليونان، يقول الأستاذ بعد بيانه الكم الهائل الذي نظر فيه وقرأه ودقق فيه ليصل إلى ما وصل في المنهج: "تبيّن لي يومئذ تبيّنا واضحا أنّ شطري المنهج: (المادة، والتطبيق) ، كما وصفتهما لك في أول هذه الفقرة، مكتملان اكتمالا مذهلا يحيّر العقل، منذ أولية هذه الأمة العربية المسلمة صاحبة اللسان العربي، ثم يزدادان اتساعا واكتمالا وتنوّعا على مر السنين وتعاقب العلماء والكُتاب في كل علم وفن،[108] وأقول لك غير متردد أنّ الذي كان عندهم من ذلك، لم يكن قط عند أمة سابقة من الأمم، حتى اليونان= وأكاد أقول لك غير متردد أيضا أنهم بلغوا في ذلك مبلغا لم تدرك ذروته الثقافة الأوربية الحاضرة اليوم، وهي في قمة مجدها وازدهارها وسطوتها على العلم والمعرفة".[109]

وأقول تعليقا وإفادة من متفرق كلام الأستاذ ومحبيه عن المنهج:

1-المنهج بشطريه (الجمع والتطبيق)، الذي يغري به الأستاذ ويحاكم ويرد ويقبل أشبه شيء بما يعرفه الباحثون اليوم اصطلاحا بعلم (الفيلولوجيا/philology) أو علم فقه اللغات؛ تأريخا ومقارنة، بضبط النصوص، ومعرفة أصول ألفاظها، وحسن فهمها وتأويلها، والاعتناء بها، وصولا إلى الاهتمام بالتاريخ والأدب والثقافة المتكاملة.[110]

2-هذا المنهج والإبانة التي يروز بها الأستاذُ الأعمالَ والنتاجَ ليحكم-بأمانة- على مسيرة صاحبه لا تكاد تضلّ العين معالمه في جُلّ ما كتب الأستاذ، حتى اتخذه قاعدة له وعليه، يضبط بها عمله وفهمه، ويقوّم بها عمل غيره.

3-هذا المنهج ليس الأستاذ فيه بدعا من العلم أو القول، بل سبقه إليه نقاد مبصرون، وعلى رأسهم عبد القاهر رحمه الله في (دلائل الإعجاز)، و(أسرار البلاغة) بعبارات يُستقى منها أصوله وقواعده، وبنص أوضح وأبين في (الرسالة الشافية).[111]

4-لعلّ الأستاذ شاكر لم يبالغ حين عدّ هذا المنهج أصلا أصيلا في كل أمة وفي كل لسان، وفي كل ثقافة حازها البشر على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ومللهم وأوطانهم، فالمنهج عنده "يتناول الشعر والأدب بجميع أنواعه، والتاريخ، وعلم الدين بفروعه المختلفة، والفلسفة بمذاهبها المتضاربة، وكل ما هو صادر عن الإنسان إبانة عن نفسه وعن جماعته؛ أي يتناول ثقافته المتكاملة المتحدرة إليه في تيار القرون المتطاولة والأجيال المتعاقبة. ووعاء ذلك كله ومستقرّه هو اللغة العربية واللسان لا غير.[112]

4-بمرحلتي: المنهج وما قبل المنهج أسقط الأستاذ عمل المستشرقين-جلَّه- إذا المستشرق حين ينظر في ثقافة ودين وعلوم أمةٍ غير أمته يقع في (مأزق اللغة)، التي يستحيل عليه معرفتها إلا قدر تحِلّة القسَم، و(مأزق الثقافة) المحجوب عنها حجبا مطلقا؛ "لأنه مكفوف عنهما بحجاب من ثقافته التي نشأ فيها وليدا، واستمر حتى شابت قرونه"[113]، والمأزقان الحرجان هما منظار عينيه، وبقدرهما عنده، وتبعا لطبيعتهما المغروسة في تكوينه الأول=يحاول فهم ما عند غيره من ثقافة.[114]

أما (مأزق الأهواء) وما أدراك ما الأهواء فهي كما وصفها الأستاذ "الداء المُبِيرُ، والشر المستطيرُ، والفساد الأكبر، إن هو ألمَّ بأيّ عمل إلمامة خفيَّة الدبيب بلْهَ الوطء المتثاقل، أحاله إلى عمل مستقذَرٍ منبوذٍ كريهٍ، حتى ولو جاءك هذا العمل في أحسن ثيابه وحُلِيّهِ وعطوره وأتمّها زينة، من دقة واستيعاب وتمحيص ومهارة وحذق وذكاء".[115] فأين المستشرق وعمله ومزاج نفسه ومرام عقله من هذه الشروط والأدواء!

5-يشتبه على بعض دارسي حال الاستشراق، وحكمَ الأستاذ شاكر وغيره عليهم، فيصمونه بالمبالغ المتحامل لما يجدون بين أيديهم من كتب ومخطوطات وفهارس ومعلمات كانت خلف ذاكرة التاريخ، فاستنبطها المستشرقون، وأزالوا عنها غبار سنيّ الإهمال، وقدّموها لنا-زعموا-لنعُبَّ منها عللا بعد نهَل. والأستاذ شاكر لم تفته هذه الهفوة، فأبان عنها في مواضع من (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا) بيّن أنهم إنما حازوها غصبا،[116] ونشروها خدمة لهم، وإمعانا في شدّ الخناق على أمة نسيت سالف مجدها. قال الأستاذ رحمه الله تعالى: " ولما كانت هذه المخطوطات التي يعكف نفرٌ منهم على دراستها متفرقةً في البلاد، وحبيسةً تحت يد عدد قليل جداً قد يكون رجلاً واحداً في

قرية أو دير، عمدوا إلى نشر بعضها مطبوعة، لتكون تحت يد كل دارس مستشرق في أي بلدٍ كان من بلاد أوربة،[117] ولكي تكون الفائدة أكثر تماماً، والجهد أكثر جدوى، أنشأوا أيضاً مجلات بكل لسان من ألسنتهم، ينشر فيها كل مستشرق نتائج بحثِه ودِراسَتِه، ويعرضُ كلَّ تَجارِبه وخبرته وملاحظاته، لتكون عَوْناً لكلّ دارس مستشرقٍ وغير مستشرق، وهي مجلاَّت الدراسات الإسلامية أو الشرقية. بل سَمَتْ هِمَّتُهم فبدأوا صنع (جماهر الإسلام) التي يسمونها (دوائر المعارف الإسلامية)".[118]

المبحث الخامس: الإطار البدلي (الحلول المقترحة).

في جملة تراث الأستاذ شاكر، المطبوع أو المسموع، وفي فهم تلاميذه عنه، أو إضافاتهم عليه=إشارات مرشدة موجزة إلى حلول تنتشل-الآخذين بها-من سبُل تيهِ فساد الحياة الأدبية، واختلاط المناهج، وعبثية الذوق الساذج، وأنسنة توحُّش الأعداء=لتصل بهم إلى ضفاف علوم أمة شهد التاريخ وعلومه لها بالتقدم والأولية. ويمكن إجمال هذه الحلول والمراشد في الآتي:

1-من المحال أن تنهض هذه الأمة نهضة تنفي عنها ذلّ الماضي، وتضمن لها عزّ الآتي=إلا بنهضةِ علومها التي هي عقلها، وقلبها، ومزاج خواطرها، وذات نفسها، والتي تمثّل نقطة الثقافة العربية الإسلامية المتكاملة،[119] التي تنبّه لها العلماء الخمسة الذين بدأت بواكير النهضة على أيديهم، فاخترفت فرنسا ثمرة جهودهم، وأتت بريطانيا على الذمَّاء الباقي منهم.

2-لا بد من استشعار خطر فساد (اللغة)، و(علوم الدين) و(علوم الحضارة)، وأخذ النفس بالهمة الماضية في تدارك الأمر، ورأب الصدع، وإلا فلن يُبكى ميتٌ ولم يُفرح بمولود.[120]

3-من العدل الذي أُمرنا به أن نُنزل خصمنا منازله؛ علما وفكرا وتخطيطا وتدبيرا؛ فلا نبخسه حقه بخسا، ولا نتطلّب له من كمالات الحال، وجودة الرأي، وأصالة الأفكار، وحسن النية=ما لم يدّعه هو لنفسه، أما قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النساء: 135]!

4-لما كانت الثقافة العربية الإسلامية المتداخلة الحية قد انبعثت أصولها، وتسلسلت فروعها من النظر في الوحيين وعلومهما، ومن توارد الجمّاء الغفير عليها فهما ومراجعة واستنباطا وتقعيدا وتهذيبا وشرحا=فالواجب عود الرباط بهذه العلوم الأصيلة، التي بتظافرها تتكون شخصية الأمة، وعقل الأمة، وثقافة الأمة.

5-لإعادة استشعار الجيل والدارسين والقادمين لمعنى (التذوق الأدبي) الذي يقوم على الخبرة، والدربة، والمقارنة، واستكناه ما وراء الألفاظ، لا التذوق الساذج الممجوج=لا بد أن تدور رحى البحث والدرس على علومنا، وأن يُغمس الجيل فيها، ويُصبغ بها، حتى تدخل لحمه، وتخالط دمه، ويحيا بها، وتحيا به، ويعيش بها، ويستخرج بها خبأها، وتستخرج هي منا خبأنا، وأن تزدهر بنا، وتنمو وتسطع، لنزدهر نحن بها وننمو ونسطع، وبقد ما نحافظ عليها أصيلة نقية=تحافظ هي على صفائنا ونقائنا.[121]

6-شتّان ما بين اليزيدين في الندى.[122]

فرق شاسع جداً بين أن تقرأ كلام الآخرين لتعرف كيف يفكرون؟ وبين أن تقرأه لتُفكر كما يفكرون. وكذلك فرق بين أن تقرأ كلام الآخرين لتعرف ماذا يقولون؟ وأن تقرأه لتقول ما يقولون، أو شبه الذي يقولون. أنت في الحالة الثانية ضعيف مُقلِّد، وفي الحالة الأولى عالم متمكِّن، والتقليد خليقة مرذولة، وقد قال علماؤنا: إنّ المقلِّد أذلّ من العنزة الجرباء تحت الشَّمأل البليل،[123] يعني الذي يقرأ كلام الآخرين ليفكر كما يفكرون، ويقول مثل الذين يقولون، ليس هو هذه العنزة الجرباء تحت المطر الشديد البرد، وإنما هو أذلّ منها. فهل يمكن لهذا العنز الأجرب أن يَطوَّر علماً؟ وأن يُحدث نهضة؟!![124]

7-الأدب بمفهومه العام، وأبعاده المترامية يحرّك العزم الساكن، وينشئ لأصحابه الهمة في التدبير والحكم والسياسة والعلوم، وإلا فهو وثنٌ نعكف عليه، باطل الصورة والمعنى.[125]

8-تقريب تراث الأمة بين يدي أبنائها، بجمع متفرقه، واعتماد أصح أصوله، وقراءته قراءة واعية فاهمة ناقدة، وشرحه، وتسهيله. وأن نختار من المؤلفات في تراثنا ما ليس له أشباه بغيره، وأن تفرد له الجامعات أقساما به تعتني، وله ينهد منتسبوها، وفي فلكه يسبح طلابها، وعليه ومنه تستخرج أبحاثهم، ورسائلهم=فنصل بفعلنا الناشئة بمجدود مجدهم، ونردم بها الهوة بينهم وبين عوالم تراثهم=واجب علينا، وأمانة العلم في أعناقنا.[126]

9-إصلاح حياة الإنسان كل الإنسان، ليصلح بها تعليمه، وتدينه، وتفكيره.[127]

10-تمكين الناشئة من أدوات وقواعد ووسائل ونظريات المنهج السديد، المنهج الذي به انتظمت علومنا، واستقامت على سمته ثقافتنا، المنهج الذي تُنسج خيوطه من معارف أمتنا، ومن جهود أبنائها المخلصين، لا الذي نجتره من فتات أبحاث غيرنا.

وأختم بوقفتين سريعتين:

1-لا يروعك من هذه الإشارات اللغة الأدبية أو اللهجة الخطابية=فهي وأيم الله-نصّ كلام الأستاذ أو ما يقاربه، لكن لما كانت جلّ كتاباته عليها سيماء الأدب ومفاتنه فلا غرو أن تصطبغ حلوله بطلاء ألفاظه، وإلا ما كانت العصا من العُصيّة.

2-واضح أنّ الحلول المقترحة إنما هي إرشادات سلوكية أكثر مما هي حلول واقعية عملية.

الخاتمة:

إنّ النفور من (الثقافة الأوربية) بما يحمله المصطلح من إضفاءات أدبية وعلمية وفنية وعقائدية=كان ظاهرا مُحسَّاً عند طبقة الأستاذ شاكر ومن سلفه أو من خلفه؛ لأسباب لعل من أبرزها معاينتهم التقاء البحرين؛ هذا عذب فرات، وهذا ملح أجاج؛ بما تمرّس أغلبهم على علوم المسلمين وحضاراتهم، وطالت مجالستهم لأحوال العرب، وأخبارهم ونواديهم وأماليهم ومنافراتهم وتصانيفهم، وفقهوا عنهم روح العلم، وروح الحضارة، وعزة المسلم الأبيّ، فلما أُريدوا على علومهم وثقافتهم، وزُيّن لهم استبدال سحنتهم، والتفصّي من جلودهم، تأبّت عليهم أرواح غذوها شمما وأنفة، وعقول تشربّت علما وحكمة، ونفوس راضوها في ميادين الصلاح والإصلاح، فدارت حماليق أقلامهم، وناضلوا عن ثقافتهم بألسنة حداد، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، وما بدّلوا تبديلا. فخلَف من بعدهم خلوف نبتوا في حمأة الذل، وأُعشيت عيونهم إبّان اصطباحها بأضواء برق خُلّب يحسبه الظمآن ماء، فكيف لهم التفريق-وهذه حالهم-بين السها والفرقد.

أهم النتائج:

1- شكّلت البيئة الثقافية والفكرية التي نشأ فيها الأستاذ محمود شاكر عاملًا حاسمًا في تكوينه العلمي والنفسي والنقدي، وأسهمت بوضوح في بلورة رؤيته تجاه الظواهر الفكرية الوافدة.

2-أظهر الأستاذ شاكر إلمامًا عميقًا وشاملًا بظاهرة الاستشراق من حيث مفاهيمها وسياقاتها وخلفياتها المعرفية، قبل الشروع في نقدها.

3-قدّم شاكر تأريخًا دقيقًا وتحليلًا عميقًا لظاهرة الاستشراق، واتسم طرحه بقدرة وصفية عالية تُحاكي معايشة المراحل المبكرة لنشأة الظاهرة.

4-انتقد شاكر المنهجية التي يقوم عليها نتاج المستشرقين، وأبرز جوانب القصور فيها، مبينًا عدم التزامها بمقتضيات المنهج العلمي، سواء في مراحله التمهيدية أو الإجرائية. (المنهج وما قبل المنهج).

5-طرح الأستاذ شاكر عددًا من المقترحات العلمية للتعامل مع آثار الاستشراق، ورغم ما يعتريها من قصور جزئي، فإنها تمثل مداخل جادة للحد من تأثيراته السلبية على الثقافة العربية.

أهم التوصيات:

في ضوء نتائج الدراسة، توصي الدراسة بما يلي:

1-ضرورة إعادة قراءة تراث محمود شاكر بعين علمية منهجية منصفة، لاستخلاص مقارباته النقدية في التعامل مع الظواهر الفكرية الوافدة.

2-التوسّع في دراسة الدوافع الفكرية والثقافية الكامنة وراء موقفه الرافض للاستشراق، بما يتجاوز ما تم تناوله في هذه الدراسة.

3-إجراء دراسات مقارنة بين شاكر ومعاصريه من المفكرين العرب ذوي التوجّه الإسلامي، لبيان المشتركات والاختلافات في مواقفهم من الاستشراق.

4-البحث في كتابات بعض المفكرين الغربيين المنصفين – من المستشرقين وغيرهم – ممن تقترب مواقفهم من رؤية شاكر، لتغذية وإمداد الحوار النقدي المتوازن حول الاستشراق.

الهوامش:

(1) انظر: محمود إبراهيم الرضواني، **شيخ العربية وحامل لوائها أبو فهر محمود محمد شاكر، بين الدرس الأدبي والتحقيق**، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1995، ص 7.

(2) إن أطلت في بعضها، وذكرت شئيا من التفاصيل-على قلتها-فلغرض ملخصه: أن يعرف القارئ الكريم أنّ تصوّر الأستاذ للاستشراق، ثم حكمه عليه، ثم اعتزاله الحياة الأدبية الفاسدة كان عن خبرة مليء، وإحاطة رجل خبّرت: قرأ ونظر وجمع وحلل وسبر واستنبط ثم حكم.

(3) انظر: عبد الحميد العمري، **المدخل إلى منهج التذوق عند محمود شاكر**، مصر، دار البشير، 2018، (ط1)، ص32

(4) فوالدها هارون عبد الرازق، كان مشتغلا بتدريس العربية، وأخوها محمد هارون والد المحقق الفذ عبد السلام هارون، وأخوها الثاني أحمد هارون مصلح المحاكم الشرعية بمصر. انظر: إبراهيم الكوفحي، **محمود شاكر سيرته الأدبية ومنهجه النقدي**، بيروت، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، 2000، ص 18-19.

(5) انظر: محاسن بنت أحمد قربان، **آراء محمود شاكر وجهوده اللغوية**، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1429-1430، ص 18.

(6) إخوته: أحمد وعلي ومحمد ورابعهم محمود، وأخواته: خديجة وعزيزة وفاطمة. انظر: عمر حسن ذياب، **محمود محمد شاكر وقضية الشعر الجاهلي**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، 1989، ص 4.

(7) الذي عاش سنوات بعدها يعالج أثاره السيئة كما قال. انظر: وجدان العلي، **ظلّ النديم أوراق وأسمار شيخ العربية محمود محمد شاكر التي لم تنشر من قبل**، بيروت، دار عالم الأدب، 2016، (ط1)، ص 107

(8) بجميع مهاراتها حتى ترجم عددا من الآثار منها، كما سيأتي في مؤلفاته.

(9) ولهذا أسباب يأتي بعضها في حديثه عن الاستشراق.

(10) انظر: محمود محمد شاكر، (1418هـ/1997)، **المتنبي**، جدة، دار المدني، 1976، ص325، **وأباطيل وأسمار**، القاهرة، مكتبة الخانجي، ص 446.

(11)انظر: وجدان العلي، **ظلّ النديم**، ص 99.

(12) فوصفها بأنها "فضلة": لأنه لم يستفد منها شيئا. انظر: وجدان العلي، **ظلّ النديم**، ص 100.

(13) كان الأستاذ للتوّ أتمّ على شيخه المرصفي (الكامل) للمبرد، و(شرح الحماسة). انظر: عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، **العلامة محمود محمد شاكر كما عرفته إضاءات من سيرته الذاتية والعلمية والأدبية ورسائله إليّ**، الدمام، المملكة العربية السعودية، نادي المنطقة الشرقية الأدبي، 1442، د.ط، ص 35.

(14) محمود محمد شاكر، (1418هـ/1997)، **رسالةٌ في الطريق إلى ثقافتنا**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997، (ط1)، ص 6، 19، 23.

(15) انظر: أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني، (ت 518 هـ/1124م)، **مجمع الأمثال**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار المعرفة، د.ت، د.ط، ج2، ص 282.

(16) انظر: عبد الرحمن بن حسن قائد، **رسيس الهوى بقية تراث شيخ العربية محمود محمد شاكر**، بيروت، آفاق المعرفة، 2021، (ط2)، ص 281.

(17) يوهم الناسَ أنه منتفج بالجيم. انظر الفرق بينهما عند أبي منصور الجواليقي، (ت 540هـ/1145م)، **التكملة والذيل على درة الغواص مطبوع ضمن درة الغواص وشرحها وحواشيها وتكملتها**، تحقيق: عبد الحفيظ فرغلي، بيروت، دار الجيل، 1996، (ط1)، ص 861.

(18) انظر: أيمن فؤاد السيد، (وآخرون)، **دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى أديب العربية الكبير أبي فهر محمود محمد شاكر بمناسبة بلوغه السبعين**، د.ت، القاهرة، 1982، د.ط، ص 14.

(19) انظر: وجدان العلي، **ظلّ النديم**، ص 98، 107، 119.

(20)عبد القدوس أبو صالح، الشيخ محمود شاكر كما عرفته، **مجلة الأدب الإسلامي**، رابطة الأدب الإسلامي، المجلد (4)، العدد (1)، 1418هـ، ص 11.

(21) من تلامذته: أحمد حسن الزيات، زكي مبارك، طه حسين، عبد العزيز البشري، أحمد محمد شاكر، حسن السندوبي، علي الجارم وغيرهم كثير. انظر: عسيلان، **العلامة محمود محمد شاكر كما عرفته**، ص26.

(22) يقول عنه الدكتور طه حسين -أحد تلاميذه-" أستاذنا الجليل سيّد بن علي المرصفيّ أصحّ من عرفتُ بمصر فقهًا في اللغة، وأسلمهم ذوقًا في النقد، وأصدقهم رأيًا في الأدب، وأكثرهم رواية للشعر ولا سيّما شعر الجاهليّة وصدر الإسلام". طه حسين، (1393هـ/1973م)، **تجديد ذكرى أبي العلاء**، القاهرة، دار المعارف،1937، (ط3)، ص5.

(23) أيمن فؤاد السيد، **دراسات عربية وإسلامية**، مصدر سابق، ص 13.

(24) خاصة أحمد تيمور باشا ومحب الدين الخطيب-وحسبك بهما علما وعزة وحمية وأرْثًا. انظر: وجدان العلي، **ظلّ النديم**، ص 101.

(25) انظر: محمود محمد الطناحي، (ت 1419 هـ/ 1998م)، **مقالات الطناحي، صفحات في التراث والتراجم واللغة والأدب**، جمعها ورتبها: محمد محمود محمد الطناحي، ومحمد ناصر العجمي، بيروت، دار البشائر الإسلامية، 1422هـ، (ط1)، ج2، ص617.

(26) انظر الترتيب الزمني لمقالاته وقصائده مع بيان مقتضب عنها بإيجاز في: **مجلة الأدب الإسلامي**، ص7، وبتوسط في: أيمن فؤاد السيد، (وآخرون)، **دراسات عربية وإسلامية** ص 19، وعسيلان، **العلامة محمود محمد شاكر كما عرفته**، ص 176، 414، 423، 454، وما لم يذكر في المراجع الآنفة استدركه البحّاثة الطُّلعة عبد الرحمن قائد في: **رسيس الهوى**، ص 23-26.

(27) لئن كان المترجمون للأستاذ يحَلّون مقالاتهم ورسائلهم ومقدماته عنه بلفتات ومواقف مشرقة له، فإني هنا لست موردا من صفات الأستاذ شاكر ولا من مواقفه ولا أفكاره إلا ما له بصمة مؤثرة في موضوعنا من حيث تصوّره للاستشراق، وآثاره، والحكم عليه، وأبو الطيب يقول: في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحلِ.

(28) وانظر حديثه مع حسين أحمد أمين عند: حسين أحمد أمين، **شخصيات عرفتها**، القاهرة، دار العين للنشر، 2007، (ط1)، ص (158-163)، وكذلك حديثه لمحاوره في الإذاعة الكويتية ومنه قوله: "أنا من الكبرياء بالمنزلة التي لا تخطر ببالك"، انظر: وجدان العلي، **ظلّ النديم**، ص 103.

(29) كموقف أبيه من الخطيب الذي تزلّف للخديوي في استقباله لطه حسين، معرّضا بالنبي صلى الله عليه وسلّم في إعراضه عن ابن أمّ مكتوم رضي الله عنه، قال الوالد: أيها الناس أعيدوا صلاتكم فإنّ خطيبكم قد كفر.

(30) يقول الدكتور محمد محمد أبو موسى: "وأنه نفذ في هذه السنّ إلى البشاعة المتسترة وراء طنين الأستاذية، والمنهج، والجامعة، وعالمية الثقافة". انظر: محمد أبو موسى، **مجلة الأدب الإسلامي**، ص 20.

(31) سمعتها شفاها من تلميذه وجدان العلي ولم أقف على موضع لها من كتب الأستاذ شاكر.

(32) انظر أمثلة على ذلك في: عبد القدوس أبو صالح، **مجلة الأدب الإسلامي**، ص 14، ووجدان العلي، **ظلّ النديم**، ص 40، 103، 106، وعسيلان، **العلامة محمود محمد شاكر كما عرفته**، ص 25، 56، 283، وعبد الرحمن قائد، **رسيس الهوى**، ص 25.

(33) انظر كلاما مهما للدكتور مصطفى هدّارة في قدرة الأستاذ شاكر في الوصول إلى ضوالّ الشعر، وقدرته على النفوذ إلى شعر الشمّاخ بن ضرار رغم شدة وعورته. انظر: أيمن السيد، **دراسات عربية وإسلامية، ص457-458.**

(34) محمود شاكر، **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، ص 6، 19، 23.

(35) محمود محمد شاكر، (1418هـ/1997)، **المتنبي**، جدة، دار المدني، 1976، ص325، و**أباطيل وأسمار**، القاهرة، مكتبة الخانجي، ص 355-369، ومناقشته في **أباطيل وأسمار** لفظ (الدين)، ص 413-440.

(36) البيت لعبد الله بن مصعب بن الزبير رضي الله عنهم، وسمى عائد الكلب لهذا البيت، وولده الآن يسمّون بني عائد الكلب. انظر: عبد الله بن قتيبة، (276هـ/889م)، **عيون الأخبار**، بيروت، دار الكتب العلمية، 1418هـ، ج3، ص60.

(37) أيمن فؤاد السيد، **دراسات عربية وإسلامية**، مصدر سابق، ص 453.

(38) انظر: عسيلان، **العلامة محمود محمد شاكر كما عرفته**، ص 52.

(39) انظر: عبد القدوس أبو صالح، **مجلة الأدب الإسلامي**، ص 11.

(40) وانظر كلاما للأستاذ شاكر في شيء مشابه لهذا. محمود شاكر، **نمط صعب، ص44.**

(41) محمد العجمي، **العلامة شعيب الأرناؤوط كيف أحببته**، دمشق، دار النوادر، 2017، (ط1)، ص 32.

(42) انظر: عبد القدوس أبو صالح، **مجلة الأدب الإسلامي**، ص 12.

(43) انظر: وجدان العلي، **ظلّ النديم**، ص 109-112، وعبد الرحمن قائد، **رسيس الهوى**، ص 283، وعسيلان، **العلامة محمود محمد شاكر كما عرفته**، ص 29.

(44) انظر: محمد محمد أبو موسى، **مجلة الأدب الإسلامي**، ص 19-20.

(45) محمود شاكر، **أباطيل وأسمار**، 398، وجدان العلي، **ظلّ النديم**، ص 101-102، 114113-114.

(46) لست معنيا هنا ببيان الجذر اللغوي، ثم دلالة البنية الصرفية (استفعل) على التحوّل والصيرورة أو الطلب-وكلاهما له وجه هنا-. انظر: محمد بن السري المعروف بابن السراج، (ت 316هـ/928م)، **الأصول في النحو**، تحقيق، عبد الحسين الفتلي، بيروت، مؤسسة الرسالة، (د.ت)، د.ط، ج3، ص 128، وعلي بن مؤمن بن محمد المعروف بابن عصفور، (ت669هـ/1270م)، **الممتع الكبير في التصريف**، د.ت، مكتبة لبنان، 1996، (ط1)، ص132.

(47) انظر: زكي نجيب محمود، (ت1414 هـ / 1993م)، **المنطق الوضعي**، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1973، (ط5)، ص 123

(48) انظر: محمد أمين بني عامر، **المستشرقون والقرآن الكريم**، الأردن، دار الأمل، 2004، (ط1)،ص 11.

(49) محمد صبحي العلاني، **الاستشراق الفرنسي والأدب العربي القديم، ريجيس بلاشير أنموذجا**، تونس، 1998، (د.ط)، ص 23-24.

(50) سأقيّدها من مظانها من كتب الأستاذ، وإلا لو أردت نقل رؤاه فيها لما استوعبتها رسالة أو أطروحة.

(51) نلجأ إليه بسبب غموض واتساع واضطراب المفهوم الشمولي المحيط. انظر: إدوارد سعيد، (ت 1423هـ/2003م)، **الاستشراق**، ترجمة: كمال أبو ديب، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، 1984، (ط2)، ص 38-39، وأحمد سمايلوفتش، **فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر**، مصر، دار المعارف، 1980، (ط1)، ص 22-32.

(52) علي بن إبراهيم النملة، **كنه الاستشراق المفهوم-الأهداف-الارتباطات**، الرياض، بيسان للنشر والتوزيع، 2011، (ط3)، ص25. وبعدها ذكر المؤلف الدكتور النملة تعاريف أقل شمولية، انظر: **كنه الاستشراق المفهوم، ص27**

(53) سأذكر تصوّر الأستاذ شاكر على نقاط متتالية مترابطة؛ نظرا لكون الأستاذ لم يقصد إلى تفقيرٍ ينص فيه على التعريف وآخر على الشروط والأوصاف ومثله للدوافع والأهداف-على نسق الأبحاث الأكاديمية-.

(54) بعد أن أيقنتْ-إثر سبع حملات صليبية- خوَر السلاح في إنهاء تمدد المسلمين.

(55) وسيأتي قريبا ذكر أهدافهم وأعمالهم.

(56) يريد بها الجزء الشمالي من الإمبراطورية الرومانية، وعاصمتهم روما، وهم المحاربون المستعمرون، تمييزا لهم عن النصف الجنوبي الذي كان معايشا، وكانت عاصمته القسطنطينية.

(57) محمود شاكر، **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، ص 112،48، 117.

(58) محمود شاكر، **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، ص87،

(59) محمود شاكر، **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، ص 49، و**أباطيل وأسمار**، ص 119، 215، 263.

(60) انظر: محمود شاكر، **أباطيل وأسمار**، ص392-393، 405.

(61) انظر: محمود شاكر، **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، ص50، 53، 57، 58، 62، ومحمود محمد شاكر، **نمط صعب ونمط مخيف**، مصر-جدة، مطبعة ودار المدني، 1996، (ط1)، ص438.

(62) انظر: محمود شاكر، **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، ص48-49، 53، 57، 66، 70، 76، 79، 113، 122، 149، محمود شاكر، **المتنبي**، ص19، 169، ومحمود شاكر، **أباطيل وأسمار**، 135، 151، 204، 353، 445، ومحمود شاكر، **نمط صعب ونمط مخيف**، ص 281، 326، 369.

(63) انظر: محمود شاكر، **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، ص 48، 57، 59-60، 62، 77، 101، 113-114، 116.

(64) (الشوكاني، البغدادي، الجبرتي الكبير، ابن عبد الوهاب، المرتضى الزبيدي). انظر: محمود شاكر، **رسالةٌ في الطريق إلى ثقافتنا**، ص117، ومحمد أبو موسى، **مجلة الأدب الإسلامي**، ص 18.

(65) انظر: محمود شاكر، **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، ص54-55، 61، 97، 102-106، 113-116، 123، 125، 133، 140، ومحمود شاكر، **أباطيل وأسمار**، ص 353، وجدان العلي، **ظلّ النديم**، ص 98، 107، 119، ومحمد أبو موسى، **مجلة الأدب الإسلامي**، ص 18، وعبد الرحمن قائد، **رسيس الهوى**، ص 283-284

(66) محمود شاكر، **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، ص53، 112.

(67) سيأتي في المبحث الرابع الجواب عن شبهة حفظهم وخدمتهم ونشرهم لمخطوطاتنا.

(68) كما سيأتي بعض من أمثلته في المبحث الثالث.

(69) انظر: وجدان العلي، **ظلّ النديم**، ص 112

(70) يُضرب في الشيء الثّمين، أي لا يفوتَنَّكَ بأي ثمن يكون. انظر: أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني، (ت 518 هـ/1124م)، **مجمع الأمثال**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار المعرفة، د.ت، د،ط، ج1، ص231.

(71) تشاركها الشام ولبنان، والمغرب العربي على قلة.

(72) انظر: محمد أبو موسى، **مجلة الأدب الإسلامي**، ص 18-20،

(73) وهذه كررها الأستاذ شاكر في جميع كتبه خاصة (أباطيل وأسمار)، ص135، 151، 204، 353، 445، 448، وأفرد لها مقدمة كتابه (المتنبي)، كذلك في نفس الكتاب صفحة، 79، 438، و**رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، ص6، 21، 34، 145-147، ثم في رده على الدكتور عبد العزيز الدسوقي في ثلاث مقالات بعنوان، (المتنبي ليتني ما عرفته)، انظر: محمود محمد شاكر، (1418هـ/1997)، **جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر**، جمعها وقرأها وقدم لها: الدكتور عادل سليمان جمال، القاهرة، مكتبة الخانجي، 2003، (ط1)، ج2، ص1093-1189. ولم يهتم الأستاذ شاكر بقضية مثل اهتمامه بهذه، فما أكثر ما سمع منه تلامذته ومجالسوه لها عرضا ودراسة وتحليلا وتكرارا؛ فهي قضيته الأم التي لا يجوز الحديث عنه في غيبتها. كما يقول تلميذه الدكتور محمد أبو موسى. **مجلة الأدب الإسلامي**، ص 19.

(74) هنا محنة الأستاذ شاكر مع طه حسين الذي أقام منهجه العلمي على السطو والانتحال.

(75) أدرك هذا عيانا بعض من عاد من الظلمات إلى الحق الأبلج، من مثل الدكتور زكي نجيب محمود. انظر: محمد أبو موسى. **مجلة الأدب الإسلامي**، ص 20-21.

(76) انظر: محمود شاكر، **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، 75، 78.

(77) على هذا الحرف كسر كتابه (أباطيل وأسمار) في الدفاع عن شيخ المعرّة، والرد على أصول وأساتذة ومنبع أفكار الاستشراق، الذي مُثّل للناس باسم (لويس عوض)، والأستاذ كان يتحاشى ذكر اسمه، لهوانه في عينه، ولعلمه بحضيض علمه، وأن مستمدّ من مستنقع آسن. انظر: وجدان العلي، **ظلّ النديم**، ص 110-112، وقلّب إن شئت فهرس (أباطيل وأسمار) لتشفق وتأسف على ما حكاه الأستاذ عن ذلك الكاتب.

(78) لُقّبوا بالرواد لمزيد من الإقناع بالخداع والباطل. انظر: محمد أبو موسى، **مجلة الأدب الإسلامي**، ص 19.

(79) لكنّ شرط المقارنة أن تكون ممن يملك أدواتها، فيكون قادرا على هضم الخزانة وكتب الشوكاني وتاج الزبيدي وله آلة فهمٍ جيدة للصناعات التي كان يعلِّمها الجبرتي.

(80) البيتان لأبي علي البصير، وصوّح: يبس وتشقق. انظر: عبد الله بن قتيبة، (276هـ/889م)، **عيون الأخبار**، ج2، ص43، وأحمد بن عبد الوهاب النويري (ت 733هـ/1332م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، 2003، (ط1)، ج3، ص93.

(81) انظر: عمر إبراهيم رضوان، **آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره**، دراسة ونقد، بإشراف الدكتور مصطفى مسلم، الرياض، دار طيبة، ج1، ص 6، 28، 162.

(82) ويسميها الأستاذ-مرارا-المسيحية الشمالية، وهو وصف كاشف للمكان والحال؛ أما المكان: فهي في جهة الشمال من سمت المسلمين؛ يقابلها القسم الشرقي من نصفي الإمبراطورية الرومانية، وأما الحال: فهي المحتلة الحاقدة المستعمِرة.

(83) وهم يلملمون أطراف ملكهم المترامي الممزق وقعت الواقعة-كما يقول الأستاذ شاكر-ودخل محمد الفاتح القسطنطينية (العاصمة الشرقية للإمبراطورية الرومانية). عام (856 هـ/1453م).

(84) وقد أوضح الأستاذ أنّ هدف الحملة الفرنسية الأول إخماد هذه اليقظة خوفا من استئناف الحرب بين سلاحين متكافئين، وليس بين الحضارتين يومئذ-كما يقول الأستاذ شاكر-سوى غلوة سهم تُستدرك باليقظة والصبر والدأب. انظر: محمود شاكر، **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، ص87، 117، 119

(85) انظر: محمود شاكر، **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، ص 111، 117، 121.

(86) لبعدها عن مركز الخلافة العثمانية.

(87) وما تم له القضاء عليهم إلا بمساعدة المستشرقين الذين عملوا في خطين ماكرين: الأول للجهة الداخلية يحرّض الأرمن والمالطيّين في مصر، ويذكي فيهم أحقاد المسيحية الشمالية، ويفسد ما بين المماليك والشعب المصري، والثاني: يغري المماليك بهوان وذلة الفرنسيين، وأنّ خيولكم تدوسهم، فواجهوهم ولا تخشوهم، فالتقت على المماليك حلقتا البطان، وكان ما كان. انظر: محمود شاكر، **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، ص 123، 133.

(88) وخادع المستشرقون المشايخ التسعة ليدخلوه روادا لمن بعدهم وطعما سائغا. انظر: محمود شاكر، **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، ص 134.

(89) انظر: محمود شاكر، **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، ص 99، 104، 117، 119.

(90) كل هذا من وصف الأستاذ شاكر. انظر: محمود شاكر، **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، ص 95

(91) لقّبه الأستاذ شاكر بـ(دمية القناصل)، ووصفه بأنه: جاهل لم يتعلّم قط، لكنه كان عريقا في المكر والدهاء.

(92) انظر: محمود شاكر، **نمط صعب**، ص45.

(93) الأبيات من قصيدة (سراييفو) لمروان كجك، انظر: مجلة البيان، العدد (100)، 1416هـ، ص 46.

(94) انظر: وجدان العلي، **ظلّ النديم**، ص 109-112، وعبد الرحمن قائد، **رسيس الهوى**، ص 283، وعسيلان، **العلامة محمود محمد شاكر كما عرفته**، ص 29.

(95) انظر المبحث الثاني (الإطار المفاهيمي)، خامسا: آثار المستشرقين في البلاد الإسلامية في نظر الأستاذ شاكر رحمه الله.

(96) انظر: علي النملة، **كنه الاستشراق**، ص21-22

(97) سيأتي تنبيه الأستاذ حول هذه الشبهة.

(98) وقد قالها بشار:

أعمى يقود بصيرا! لا أبا لكم قد ذلّ من كانت العميان تهديه

(99)والأستاذ يرى أنّ كلمة (المنهج) فيها من الغموض عند الباحثين شيء كثير، مما أوقعهم في أخطاء في التصورات، أو التصديقات. انظر: محمود شاكر، **أباطيل وأسمار**، ص19.

وما سأذكره هنا أشد ما يمكنني أن أوجز عن المنهج عند محمود شاكر، وإلا فقد أوعب تلامذته ومحبوه في الحديث عنه بما لم يبق لمتتبع قولا. ومن أراد أن يعرف المنهج أو (الإبانة والاستبانة) عند الأستاذ شاكر غضا طريا فدونكه في: (القوس العذراء)، و(أباطيل وأسمار)، وفي مقالاته الثلاثة التي ردّ فيها على الدكتور عبد العزيز الدسوقي، (المتنبي، ليتني ما عرفته). انظر: محمود شاكر، **جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر**، ج2، ص1093-١١٨٩.

(100) انظر: محمود شاكر، **أباطيل وأسمار**، ص 20.

(101) انظر: محمود شاكر، **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، ص 59-60.

(102) انظر: محمود شاكر، **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، ص 27

(103) الأستاذ يعرّف الثقافة بأنها: الكل المركّب من الأفكار والمعتقدات والفنون والمقدسات. وهو يوافق تعريف (تايلور) و(تي اس إليوت).

(104) انظر: محمود شاكر، **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، ص 28.

(105) وقد قال صالح بن عبد القدوس البصري، وسبقه إليه كلثوم بن عمرو العتابيّ:

والشيخُ لا يترك أخلاقه ... حتى يوارى في ثرى رمسه

(106) بمعنى النسب؛ أي ذات سفور، دون إجراء معنى اسم الفاعل على فعله، وإلا الحقت بها الهاء وجوبا. انظر: عبد الله بن جعفر بن دُرُسْتَوَيْه (ت 347هـ/958م)، **تصحيح الفصيح وشرحه**، تحقيق: د. محمد بدوي المختون، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1998م، ص 123.

(107) انظر: محمود شاكر، **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، ص 29.

(108) انظر: محمد أبو موسى، **مجلة الأدب الإسلامي**، ص 17.

(109) المصدر السابق، ص24.

(110) انظر: علي عبد الواحد وافي، (1412هـ/1991 م)، **علم اللغة**، مصر، نهضة للطباعة والنشر، (ط1)، ص 14، وفاردينان دي سوسور، (1331هـ/1913م)، **دروس في الألسنية العامة**، مصر، الدار العربية للكتاب، (ط1)، ص 18.

(111) انظر: محمود شاكر، **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، ص 8.

(112) انظر: محمود شاكر، **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، ص 23.

(113) المرجع السابق، ص 79.

(114) المرجع السابق، ص 75، 79.

(115)المرجع السابق، ص 66.

(116) بألوان الغصب والحيلة والمكر. المرجع السابق، ص 54، 61.

(117) وقال في الحاشية: " لا تصدِّق من يقول لك: إنّ (الاستشراق) قد خدم اللغة العربية وآدابها وتاريخها وعلومها لأنه نشر هذه الكتب التي اختارها مطبوعة فهذا وهم باطل. كانوا لا يطبعون قط من أي كتاب نشروه أكثر من خمسمئة نسخة، ولم تزل هذه سنتهم إلى يومنا هذا، توزَّع على مراكز الاستشراق في أوربة وأمريكا، وما فضُل بعد ذلك وهو قليل جداً، كانت تسقط منه إلى بلاد العرب

المسلمين النسخة والنسختان والعشرة على الأكثر، لم يسعوا قط إلى تسويقها بين ملايين العرب والمسلمين كما يسوقون بضائعهم وتجاراتهم وسائر ما ينتجون، بين هذه الملايين طلباً لربح المال. هدفهم كان ما قلت لك لا غير". المرجع السابق، ص 54-55.

(118) المرجع السابق، ص 54-55.

(119) انظر: محمد أبو موسى، **من الحصاد القديم**، القاهرة، مكتبة وهبة، 2018، (ط1)، ص 200.

(120) انظر: محمد أبو موسى، **مجلة الأدب الإسلامي**، ص 18.

(121) انظر: محمد أبو موسى، **مجلة الأدب الإسلامي**، ص 23.

(122) شطر بيت قاله ربيعة الرقيّ، كما في (**شرح المفصّل**، لابن يعيش، ج4، ص37، **وخزانة الأدب**، للبغدادي، ج3، ص45) يمدح فيه يزيد ابن حاتم المهلبي، ويهجو يزيد بن أسيد السلمي، وتمامه:

لشتان ما بين اليزيدين في الندى ... يزيد بن سليم والأغرِّ ابن حاتمِ

يزيد سليم سالم المال، والفتى ... أخو الأزد للأموال غير مسالم

فلا يحسب التمتام أني هجوته ... ولكنني فضلت أهل المكارم

(123) انظر: محمود بن عمر الزمخشري، (ت 538هـ/ 1143م)، **أطواق الذهب في المواعظ والخطب**، مطبعة نخبة الأخبار، 1886م، (بدون طبعة)، ص 16.

(124) انظر: محمد أبو موسى، **من الحصاد القديم**، 223. هكذا من كتاب الدكتور محمد أبو موسى، ولعل الصواب تأنيث العنز.

(125) انظر: عبد الرحمن قائد، **رسيس الهوى**، ص 24-25.

(126) انظر: عبد الرحمن قائد، **رسيس الهوى**، ص 284.

(127) انظر: وجدان العلي، **ظلّ النديم**، ص 118.